مظاهر الحضارة في مدينة "فَيْد"

خلال العصر العباسي

د. عبد العزيز بن راشد السنيدي
قسم التاريخ - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم.
فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

يكتنف الغموض تاريخ وسط جزيرة العرب إبان العصر العباسي؛ حيث تشح المصادر التاريخية المتاحة في تزويدنا بمعلومات تشفي نهم الباحثين ورغبة المطلعين؛ فلا نجد من المعلومات التاريخية أو الحضارية عن نجد خلال هذه الحقبة سوى بعض الكتابات العابرة أو الإشارات النادرة في بعض المصادر التاريخية أو الجغرافية أو الأدبية.

من جانب آخر فقد نتج عن تغلغل الأتراك في كيان الدولة العباسية وكثرة المشكلات الخارجية والصراعات الداخلية في هذه الدولة خلال القرن الثالث الهجري إهمال العباسيين لمنطقة نجد وما صاقبها؛ فساءت الأحوال المعيشية لسكانها بعد قطع الأعطيات التي اعتادت الدولة العباسية منحها للقبائل، واضطر عدد من أهل المنطقة لتركها بحثًا عن الرزق، وسادت حياة البداوة بين السكان، وكثرت الصراعات الداخلية بين القبائل، كما أصبحت المنطقة بيئة مناسبة لنمو بعض الحركات الثورية الناقمة على الخلافة العباسية في بغداد.

إلا أن المحطات والمراكز الواقعة على طرق الحج العراقية الكوفية أو البصرية وسط الجزيرة العربية قد حظيت بنصيب من العناية التي حرمت منها مثيلاتها من مدن المنطقة وقراها، حيث حرص العباسيون على استمرار قيام هذه المحطات والمراكز والحفاظ على أمنها وإقامة المنشآت المختلفة فيها، لضمان أمن الحجاج القادمين من العراق وبلدان المشرق الإسلامي إلى الأراضي المقدسة في الحجاز وسلامتهم. من جانب آخر كان لموقع هذه المراكز والمحطات على طرق الحج العراقية - أيضًا - أثره في معرفة بعض من أخبار هذه المدن والقرى أو وصفها وواقعها الحضاري من خلال بعض كتابات من عُنُوا بالمواقع والبلدان وتحديدها، أو من مروا بها من الرحالة وغيرهم.

وكان اهتمام العباسيين وعنايتهم المتنوعة بهذه المراكز قد أسهم في استمرار الحياة في بعض المدن والقرى في المنطقة، بيد أن عددًا كبيرًا منها فشل - مع تعاقب الأزمان وتفاقم الأحداث - في الاستمرار في تأدية دوره وسط الجزيرة العربية بعد أن عجز عن الصمود في مواجهة الضربات المتتالية من بعض الفئات الخارجة على الخلافة العباسية، في حين ظلت بعض المراكز المحدودة صامدة أمام هذه التيارات، لتستمر في تأدية دورها الحضاري في المنطقة في وقت تكاد تنعدم فيه مواطن الاستقرار الحضري وسط الجزيرة العربية.

وتعد مدينة «فَيْد» أبرز محطات طريق الحج الكوفي خلال العصر العباسي؛ حيث ازدهرت هذه المدينة حضاريًا حتى فاقت غيرها من المراكز التي تعبرها طرق الحج، كما استمرت - آنذاك - قائمة تنعم بالحياة وتعمر بالاستقرار السكاني والتطور العمراني والازدهار الاقتصادي والنشاط العلمي. وحيث إن هذه المدينة أصبحت خلال العصر العباسي من أبرز المراكز الحضرية وسط الجزيرة العربية فقد رأيت أن أتتبع مظاهر الحضارة في هذه المدينة، إذ تمثل

أنموذجًا من مدن الجزيرة العربية التي كان لها دورها التاريخي والحضاري على مرّ العصور التاريخية المختلفة.

وقد حاولت في هذه الدراسة أن أعرض أوضاع مدينة فَيّد الحضارية في ذلك العصر، فتحدثت في بداية الدراسة - بعد مدخل وضّحت فيه باختصار موقع فَيْد وأهميتها التاريخية - عن النواحي العمرانية، وبينت مدى التطور العمراني الذي وصلت إليه المدينة إبان العصر العباسي، ثم فصّلت الحديث عن المرافق العمرانية الموجودة في فَيّد كالأسوار، والحصون والقصور، والمنازل والأسواق، والآبار والعيون والمنشآت المائية. ثم أعقبت ذلك بالحديث عن مظاهر الحياة الاقتصادية في مدينة فيد؛ فتكلمت عن الزراعة ثم التجارة ثم تربية الماشية. وأتبعت ذلك بالحديث عن الحياة الاجتماعية؛ فوضّحت من خلال ذلك سكان فَيّد وعناصرهم، وطبيعة حياتهم، والأعمال التي كانوا يمارسونها خلال العصر العباسي. وألقيت الضوء بعد ذلك على الحياة العلمية في مدينة فيد؛ فبيّنت مدى اهتمام أهل فَيّد بالعلم وطلبه، وتطور الحياة العلمية فيها وأسبابه، ثم تحدثت عن أبرز العلماء سواء من أهل فيد، أو ممَّن نزلها، أو وفد إليها، أو شارك في دعم الحركة العلمية فيها.

مدخل:

تقع مدينة فَيّد على السفح الشرقي لجبل سلمى المعروف في وسط شبه جزيرة العرب، في منتصف طريق الحج الكوفي الذي يصل بين بلاد العراق والأماكن المقدسة في بلاد الحجاز⁽¹⁾.

ويعود تاريخ نشأة فَيّد إلى العصر الجاهلي، ثم ازدادت مكانتها

---

(١) انظر على سبيل المثال: اليعقوبي: البلدان. (طبع مع كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة)، ليدن ١٨٩١م، ص٣١٢ ؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك. ليدن ١٨٨٩م، ص١٢٧ ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت)، ج١، ص٣٨٠ ، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: د. إحسان عباس. ط٢، مكتبة لبنان ١٩٨٤م، ص٤٤٣.

التاريخية والسياسية بعد دخول أهلها في الإسلام، حيث غدت هذه المدينة حاضرة لعدد من قبائل طيئ وأسد(٢)، كما كان أهلها خير سند للدعوة الإسلامية التي ظهرت في المدينة(٣).

وبعد قيام الدولة العباسية في العراق سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م زاد الاهتمام بالطرق التي تربط العراق بالأماكن المقدسة في الحجاز، فوجدت طرق الحج التي تمر عبر أراضي شبه الجزيرة العربية عناية فائقة من الخلفاء العباسيين ومن اقتدى بهم من الأمراء والوزراء والأعيان والحاشية وغيرهم(٤). وقد نتج عن ذلك ظهور مدن وقرى في وسط الجزيرة العربية ارتبطت نشأتها أو تطورها وشهرتها التاريخية بما وجدته من عناية من قبل العباسيين؛ لوقوعها على طرق الحج العراقية: البصرية أو الكوفية. وكانت مدينة فَيْد من أبرز المواقع التي وجدت العناية والاهتمام من قبل الخلافة العباسية نظرًا لموقعها المتميز على الطريق الكوفي، حيث ارتفعت مكانتها السياسية بعد أن أصبحت المقر المخصص لإقامة والي طرق الحج

---

(٢) مؤلف مجهول: مختصر جمهرة النسب لابن هشام الكلبي. مخطوط مصور في قسم المخطوطات، المكتبة المركزية، جامعة الملك سعود، رقم (ف ١٢١٩)، اللوحة رقم ٢٦٨ب؛ السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٣، ص١١٠٢.

(٣) ابن قتيبة: المعارف. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٨٧ ؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٣، دار سويدان، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٢، ص٢٦٢.

(٤) يقول صالح الوشمي عن اهتمام الدولة العباسية بطرق الحج العراقية وأسباب ذلك: "واهتمام الدولة بالطرق العراقية يتأكد بمشاهدة ودراسة الآثار الباقية على معالمها، وأن العناية بها كبيرة من قبل الدولة لأسباب دينية أوجبتها ديانتها الإسلامية ومراعاة شعور طبقات شعبها المسلم أيضًا، ورغبة وتعلق الداخلين في الإسلام من أهل المشرق بالديار المقدسة، ثم تجاريًا حيث تتدفق تجارة الشرق إلى الجزيرة العربية عمومًا وتتبادل السلع معها، ثم أمنيًا فهي تكاد في اتجاهاتها تكون مخترقة للجزيرة العربية من شرقها حيث مقر الخلافة إلى غربها". (الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٠٠).

العراقية(٥)، وازدهرت - كما سنرى من خلال هذا البحث - عمرانيًا واقتصاديًا وعلميًا حتى غدت خلال العصر العباسي من أبرز مدن وسط الجزيرة العربية وقراها.

النواحي العمرانية:

لعل من أبرز الآثار التي أسفرت عن التحركات النشطة على طرق الحج والتجارة بين العراق والأماكن المقدسة في الحجاز خلال العصر العباسي ظهور العديد من المحطات والمراكز الحضارية وتطورها وسط الجزيرة العربية، حيث أصبحت العديد من المدن والقرى - بفضل موقعها على هذه الطرق - مواطن استقرار سكاني ومراكز نشاط تجاري، يعتمد دخل الفرد فيها ومعيشته بالدرجة الأولى على ممارسة التجارة والبيع مع قوافل الحجاج والتجار، ويقوم استقرارها على ما توفره الخلافة العباسية لهذه المراكز من اهتمام وعناية لحماية رعاياها العابرين لهذه الطرق.

وكانت أبرز مدينة حظيت بالتطور العمراني والحضاري على الطريق الذي يربط عاصمة الخلافة العباسية بالأراضي المقدسة في الحجاز إبان العصر العباسي مدينة (فيد) التي اشتهرت آنذاك بسعة مساحتها، وتوسع عمرانها، مع استمرار الاستقرار السكاني فيها طوال العام، يقول الإصطخري مؤكدًا ذلك خلال حديثه عن

---

(٥) اليعقوبي: المصدر السابق، ص٣١٢ ؛ ابن رستة: الأعلاق النفيسة. تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٥٤ ؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة "المنزلة الخامسة". تحقيق: طلال جميل الرفاعي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرّمة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٦٥.

ولمزيد من المعلومات عن موقع (فيد) وأهميته والأقوال حول هذا الموضوع، وعناصر السكان فيها، ودخول أهلها في الإسلام، وموقفهم من الردة، إضافة إلى نظام ولاية فيد، والأحداث والمشكلات التي تعرضت لها هذه المدينة حتى القرن السادس الهجري، انظر بحثنا المنشور في مجلة الدرعية، ع١٣، محرم ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٩٢-١٤١، وذلك تحت عنوان: "ولاية فَيْد منذ ظهور الإسلام حتى القرن السادس الهجري: دراسة في تاريخها السياسي".

الجحفة(٦): "وهي (أي الجحفة) من الكبر ودوام العمارة نحو من فيد، وليس بين المدينة ومكة منزل مستقل بالعمارة والأهل جميع السنة إلا الجحفة، ولا بين المدينة والعراق مكان مستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد".

ومما يؤكد - أيضًا - نمو مدينة فَيْد وتطورها العمراني إبان العصر العباسي ما جاء في وصفها عند مؤلف مجهول. صنَّف كتابه خلال القرن الرابع الهجري. بأنها مدينة عامرة(٧). ومن جانب آخر فإن إطلاق عدد من البلدانيين والجغرافيين الذين عاشوا إبان عصر الخلافة العباسية على فَيْد لفظ (مدينة) ليؤكد تطورها العمراني والحضاري إبان هذا العصر(٨).

لقد حظيت مدينة فَيْد خلال العصر العباسي بالعديد من المنشآت العمرانية والحضارية المتعددة كالأسوار والحصون والقصور والأسواق، فضلاً عن المنشآت السكنية والمائية وغيرها(٩) مما سنتناوله بشيء من التفصيل.

---

(٦) مسالك الممالك. ليدن ١٩٢٧م، ص٢٠.

الجُحْفة: بلدة كبيرة على الطريق بين المدينة ومكة. وهي ميقات أهل الشام ومصر إن لم يمروا بالمدينة. وكان اسمها مهيعة، ثم سميت الجحفة بعد سيل عظيم اجتحفها وحمل أهلها في أحد الأعوام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص١١١).

الجدير بالذكر أن ابن حوقل قد نقل عن الإصطخري ما ذكره عن فَيْد دون أن يزيد أو ينقص فيه. (انظر صورة الأرض. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م، ص٤٠).

(٧) حدود العالم من المشرق إلى المغرب. تحقيق: يوسف الهادي. ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٢٧.

(٨) انظر : اليعقوبي: المصدر السابق، ص٣١٢ ؛ البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٢٠٧ ؛ الإدريسي: المصدر السابق، ج١، ص٣٧٩، ٣٨٠.

(٩) أشار الفريق العلمي الأثري المكلف من إدارة الآثار والمتاحف التابع لوزارة المعارف السعودية الذي زار فيدًا عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م إلى أنها تحتوي الآن على أكثر من مئة وحدة معمارية تغطي كيلين مربعين، تتكشف في اتجاه الشمال الشرقي وشمال القرية الحالية، بالإضافة إلى بعض الآبار الأثرية في القرية نفسها. (صلاح الحلوة ونيل ماكنزي: التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، مجلة أطلال، ع٤، ق٢ أ، ص٥٦).

الأسوار:

كشفت بعض المصادر عن وجود سور يحيط بمدينة فَيْد خلال العصر العباسي؛ فقد أشار ابن جبير الذي مرّ بمدينة فَيْد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م إلى أن هناك سورًا يحيط بالمدينة ومرافقها العمرانية، ووصفه بأنه عتيق البنيان(١٠). كما ذكر هذا السور مؤكدًا استمرار بقائه لحماية المدينة بعد العصر العباسي كل من ابن بطوطة الذي مرّ بفيد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، حيث أكد أنه على شكل دائري يحيط بحصن المدينة(١١)، وابن عبد الحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م الذي قال أثناء حديثه عن فيد(١٢): "وعليها سور دائر".

وقد تم تشييد هذا السور الذي أشارت إليه المصادر آنفة الذكر - كما يبدو - في أوائل القرن السادس الهجري؛ حيث أشار ابن خلكان إلى أن سَرَفْتِكِيْن الزيني (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)(١٣) قد بناه خلال نيابته في حكم إربل(١٤)، فقال عند ذكر

---

(١٠) رحلة ابن جبير. دار بيروت، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٨٣.

(١١) رحلة ابن بطوطة. دار بيروت، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٧٤.

(١٢) مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع. تحقيق: علي محمد الباجي، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٣، ص١٠٤٩.

(١٣) سَرَفْتِكِيْن، أرمني الأصل، كان مملوكًا عند زين الدين علي حاكم إربل ثم أعتقه، وحظي بمكانة عند صاحب إربل حتى استنابه عنه في حكمها. وله الكثير من الأعمال والمآثر الخيرية من مساجد ومدارس وغيرها في إربل وقراها. توفي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص٢٣٩).

الجدير بالذكر أن لبعض حكام إربل بعض الجهود الخيرية في طرق الحج وفي الحرمين الشريفين، ومن أبرزهم في هذا المجال مظفر الدين كوكبري بن أبي الحسن بن علي بن بكتكين المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. لمزيد من المعلومات انظر: (ابن خلكان: المصدر السابق، ج٤، ص١١٧؛ الفاسي: العقد الثمين، تحقيق: فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج٧، ص١٠٥).

(١٤) إربل: مدينة من أعمال الموصل في العراق، تقع بين الزابين. وقد أشاد ياقوت الحموي بما بلغته إربل في عصره فقال: "وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا مدينة كبيرة عريضة طويلة قام بعمارتها وبناء سورها وعمارة أسواقها =

آثاره(١٥): "وبنى سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد".

ومع أن المصادر المتاحة لا تسعفنا في معرفة معلومات دقيقة عن تاريخ بناء هذا السور، وهل كان عمل سرفتكين الزيني تجديدًا لبناء سابق، أم أنه أول سور يبنى حول فيد؟ إلا أننا نميل إلى أن هذا البناء ليس سوى تجديد لسور سابق وضع ليحيط بالمنشآت العمرانية المختلفة التي تزايدت في فَيْد إبان ارتفاع مكانتها السياسية وتطورها الاقتصادي خلال العصر العباسي، ولا سيما حين بدأ الأمن يضطرب بعد تفاقم خطر القرامطة والأعراب على طرق الحج العراقية إلى الحجاز في ظل ضعف الخلافة العباسية، وانشغالها ببعض المشكلات الداخلية. وكان أهل فَيْد يهرعون - في بدء ظهور هذه الأخطار والمشكلات الأمنية - إلى الحصون الموجودة في البلدة ناشدين فيها الحماية والأمن، كما حدث - مثلاً - عندما هجم القرامطة على فَيْد في حج سنة ٢٩٤هـ/٨٦٣م حيث حاصروا الحجاج وأهل فَيْد في الحصون الموجودة فيها(١٦).

وقد زودت أسوار فَيْد بعدد من الأبواب؛ حيث أشار ابن الجوزي إلى تعرضها للتخريب سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، فقال(١٧): "ودخلت العرب من نبهان(١٨) فَيْد فكسروا أبوابها وأخذوا ما كان لأهلها.. فعمل

= وقيسارياتها الأمير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كوجك علي، فأقام بها، وقامت بمقامه بها سوق، وصار له هيبة وقاوم الملوك ونابذهم بشهامته وكثرة تجربته حتى هابوه فانحفظ بذلك أطرافه، وقصدها الغرباء وقطنها كثير منهم حتى صارت مصرًا كبيرًا من الأمصار". (معجم البلدان، ج١، ص١٣٨).

(١٥) وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٣٩.

(١٦) الطبري: المصدر السابق، ج١٠، ص١٣٣-١٣٤ ؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق : د. محمد جابر الحيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢٥، ص٢٧٢.

(١٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٧، ص١٩٨.

(١٨) بنو نبهان: من قبيلة طيئ من قحطان. وينتسبون إلى عمرو بن الغوث =

موفق الخادم الخاتوني⁽¹⁹⁾ لهم أبوابًا من حديد وحملها على اثني عشر جملاً.. ".

الجدير بالذكر أن هناك خندقًا قد حفر في أوائل العصر العباسي ليحيط بفيد فيذكر الطبري⁽²⁰⁾ أثناء حديثه عن حركة محمد بن عبد الله العلوي المعروف بالنفس الزكية⁽²¹⁾ ضمن حوادث سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م " أن أبا جعفر (المنصور) قدَّم كثير بن حصين العبدي⁽²²⁾ فعسكر بفيد وخندق عليه خندقًا حتى قدم عليه عيسى

= بن طيئ. ولهذه القبيلة العديد من البطون. وشهر منها عدد كبير من أبرزهم زيد الخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٠٠، ٤٠٣). وكان يسكنون منطقة فَيْد وما حولها، وازداد نفوذ بني نبهان في فَيْد وما حولها منذ القرن الرابع الهجري وما بعده حيث شكلوا خطرًا على طريق الحج الكوفي.

(١٩) لم أجد له ترجمة فيما توافر لدي من مصادر. ويبدو أنه من كبار مماليك الدولة السلجوقية في العراق آنذاك.

(٢٠) تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٥٧٨.

(٢١) قامت هذه الحركة العلوية في بلاد الحجاز ضد العباسيين مطالبة بالخلافة للعلويين، وقد أيدتها بعض العناصر حيث دعي لصاحبها في منابر بعض الأقاليم كمصر واليمن فضلاً عن الحجاز. ولكن الخليفة أبا جعفر المنصور استطاع القضاء عليها بعد قتل النفس الزكية في معركة خاضها عيسى بن موسى ضد هذه الحركة، وذلك سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م. (الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص ٥٥٢-٦٠٠ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٥، ص١٠ - ١١ ؛ عبد العزيز بن محمد اللميلم : العلاقات بين العلويين والعباسيين "من سنة ٩٨هـ إلى سنة ٢٣٢هـ" . ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٠٨ - ١٢٨ ؛ عبد الله بن علي المسند: العلويون في الحجاز (١٣٢ - ٢٠٣هـ) ط٢، دار المنار، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص١١٧ - ١٦٦

(٢٢) من بني عبد الدار، وهو أحد قواد الدولة العباسية، أوكل له الخليفة المنصور قيادة طلائع الجيش الذي أرسله للقضاء على ثورة محمد بن عبد الله العلوي المعروف بالنفس الزكية. وبعد أن تم لعيسى بن موسى القضاء على حركة النفس الزكية في المدينة أوكل له عيسى بن موسى ولاية المدينة. ولم يستمر في هذه الولاية سوى شهر واحد فقط. (خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق : د. أكرم ضياء العمري. ط٢، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. ص٤٢١، ٤٣٠، ٤٣٥ ؛ الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص ٥٧٨-٦١٠).

بن موسى(٢٣) فخرج به إلى المدينة ". ويبدو أن استتباب الأمن في المنطقة فيما بعد قد أثّر في بقاء هذا الخندق الذي وضع في فَيْد إبان هذه الأحداث العارضة، حيث لم تعد الحاجة للحفاظ عليه ملحة، فاندرس مع تعاقب الزمن وعدم العناية به وصيانته، وهذا ما يؤكده الطبري حيث روى عن أحد أهل فيد(٢٤) قوله(٢٥): "فأنا رأيت الخندق قائمًا دهرًا طويلاً ثم عفا ودرس". ولا شك أن استتباب الأمن الذي ساد شبه الجزيرة العربية في مطلع العصر العباسي فضلاً عن بناء بعض الحصون والقصور الحصينة والآمنة في فَيْد آنذاك قد اقتضت اندثار هذا الخندق بعد أن انعدمت الحاجة إليه لحماية المدينة من الأخطار.

الحصون والقصور:

بإمعان النظر في الكتابات عن المنشآت العمرانية في فَيْد خلال العصر العباسي نلحظ تعدد الحصون في هذه المدينة، فقد ذكر الحربي الذي عاش في القرن الثالث الهجري أن فيها مجموعة من الحصون بعضها خربة، فقال(٢٦): "وبفيد قصر للسلطان وبساتين وحصون بعضها خربة".

ويبدو أن هذه الحصون المتعددة التي أشار إليها الحربي في فَيْد بدأت تضمحل فيما بعد، فقد أشار البشاري - الذي عاش في

---

(٢٣) ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ولد سنة ١٠٣هـ / ٧٢١م بالحُميمة. وهو أحد الشجعان المشهورين، ساهم في توطيد الحكم العباسي. وولاه أبو جعفر المنصور ولاية العهد من بعده ثم قدَّم عليه ابنه المهدي. توفي سنة ١٦٨هـ / ٧٨٤م. (الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري. ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩٠م "حوادث ووفيات ١٦١-١٧٠هـ"، ص٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢٤) وهو عبد الله بن راشد بن يزيد، من أهل فيد، وسيأتي ذكره عند الحديث عن الحياة العلمية.

(٢٥) تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٥٧٨.

(٢٦) المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق: حمد الجاسر. ط٢، دار اليمامة، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٠٩.

القرن الرابع الهجري - إلى وجود حصنين في فَيّد فقط، فقال(٢٧): "فيد مدينة صغيرة، ذات حصنين..". وقد أكد وجود هذين الحصنين - أيضًا - الطبري عند حديثه عن هجوم زكرويه على قافلة الحجاج بفيد سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م(٢٨).

بيد أن أحد هذين الحصنين قد اندثرا فيما بعد كما يظهر؛ فلم تشر المصادر المتاحة التي تحدثت عن فَيّد في الفترة اللاحقة إلا إلى حصن واحد فقط، ومن أبرز هؤلاء مطهر المقدسي (المتوفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م) الذي قال أثناء تعداده لمنازل طريق الحج الكوفي "... ثم فيد، وهي نصف الطريق، وبها حصن وجامع.. "(٢٩). كما أشار إلى هذا الحصن ابن جبير واصفًا حجمه بالكبر(٣٠). وذكر السمعاني هذا الحصن مشيرًا إلى أنه عبارة عن قلعة(٣١). أما ابن عبد الحق البغدادي فقد أكّد وجود حصن واحد فقط في فيد، وذكر أنه يقع وسط البلدة، فقال عن فيد(٣٢): "وفي وسطها حصن عليه باب حديد".

ولا تمدنا المصادر المتوافرة بوصف دقيق لبناء هذه الحصون التي كانت قائمة في فَيّد خلال العصر العباسي سوى ما ذكر ابن جبير عن الحصن الذي وجده أثناء مروره بفيد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م حيث بيّن أنه في أرض منبسطة، وهو مشرَّف، وفيه عدد من الأبراج، وقال عنه: "حصن كبير مبرج مشرَّف في بسيط من الأرض.."(٣٣). كما ذكر

---

(٢٧) أحسن التقاسيم، ص٢٠٧.

(٢٨) تاريخ الأمم والملوك، ج١٠، ص١٣٣.

(٢٩) البدء والتاريخ. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت)، ج٢، ص٢٣.

(٣٠) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(٣١) الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي. ط١، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤، ص٤١٦.

(٣٢) مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٤٩.

(٣٣) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

ابن عبد الحق البغدادي أن على هذا الحصن باب حديد(٣٤). فضلاً عن ذلك فقد بيَّن الحربي أن داخل الحصن عينًا حارة، وقال عند ذكر عيون المياه في فيد(٣٥): "..والحارة التي وسط الحصن والسوق..".

وعن هذا الحصن ووصْفه الأثري الحالي يقول الدكتور سعد الراشد في حديثه عن الآثار في فيد(٣٦): "ويأتي في مقدمة المعالم الأثرية بقايا حصن فَيْد المشهور والمعروف حاليًا باسم (قصر خراش)، وهذا المكان عبارة عن تل كبير من أحجار البناء النارية السوداء الناتجة عن أنقاض الحصن ومرافقه وأسواره وبواباته، ويحتل الحصن منطقة متوسطة في الموقع الأثري...، ولا يمكن معرفة التفاصيل المعمارية للحصن والمباني الأخرى حوله؛ وذلك بسبب تراكم الأنقاض فوق بعضها، ولكن يبدو أن الحصن كان يزيد في بنائه إلى دورين وأكثر، ويمكن رؤية ذلك من خلال بعض الفجوات الواضحة في التل. ويلحظ في أركان بقايا الحصن والأسوار وجود أبراج نصف دائرية في الغالب مع وجود بوابات ضمن المباني المرتبطة بالحصن والأسوار المحيطة به".

وقال الراشد عن هذا الحصن أيضًا(٣٧): "يُعد قصر أو حصن فَيْد والمسمى محليًا (قصر خراش) من أكبر المنشآت المشاهدة على طريق الحج. تقع آثار هذا الحصن في الجهة الشرقية من الموقع الأثري، ويبدو حول موقع القصر بقايا آثار سور بلغ عرض أكوامه الساقطة حوالي ٣م. أما القصر فيقع في المنتصف وهو عبارة عن شكل مربع مساحته حوالي ٤٠×٤٠م وتقلص القصر على شكل كومة سوداء عالية تصل إلى حوالي ٤م فوق سطح الأرض، كما أن أعلى نقطة من

---

(٣٤) مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٤٩.

(٣٥) المناسك، ص٣٠٩.

(٣٦) درب زبيدة: طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرّمة، دراسة تاريخية وحضارية أثرية، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣٧) المرجع نفسه، ص٣٩٥-٣٩٦.

القصر في الجهة الشرقية. ويبدو أن هناك أبراجًا في أركان القصر المتهدم. وقد بُني القصر وما حوله من آثار من الحجارة النارية السوداء".

وجاء في التقرير المبدئي لفريق المسح الأثري التابع لإدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، والمُعدّ من قبل كل من صلاح الحلوة ونيل ماكنزي عن القصر الموجود ضمن آثار فَيْد وهو الذي لا نستبعد أنه الحصن المذكور في المصادر آنفة الذكر كما يأتي(٣٨): "القصر : ويسمى حاليًا قصر "خراش" ويوجد وسط المنطقة الأثرية، ويشرف على ضفة الوادي الشمالية، وقد بني من حجر البازلت المحلي، والآن نجده متهدمًا تمامًا، ومساحته ٢٧٠ - ٢٤٠م، ويضم مركز القصر فناء به قلعة مربعة ٤٠×٤٠م في الركن الشمالي الشرقي من الفناء؛ حيث كانت مبنية من دورين (أرضي وأول) يدل على ذلك ارتفاع الصخور فوق القلعة. وحول الفناء المركزي يوجد أربع وحدات معمارية متهدمة أسندت جدرانها من الخارج بدعامات دائرية المقطع، كما يوجد بعض الجدران داخل المبنى وخارجه، إلا أن تصميم المبنى بوجه عام لا يمكن تحديده دون القيام بحفرية لزيادة التوسع في أعمال التنقيب الأثري".

وكان القصر الخاص بالسلطة من أبرز المرافق العمرانية في فيد؛ حيث أشار الحربي إلى وجود قصر للسلطان في فيد(٣٩). ويبدو أن هذا القصر هو المكان المخصص لنزول الخليفة العباسي أثناء مروره بفيد، حيث أُثر عن الخلفاء العباسيين الأوائل حرصهم على إقامة دور خاصة لهم في منازل الحج، ويتم تزويدها بوسائل الأمن والراحة الكافية ليقيموا بها أثناء سفرهم لبلاد الحجاز أو عودتهم منها إلى العراق. يقول المقريزي مبينًا ذلك(٤٠): "وكانت الخلفاء يُبنى لهم في

---

(٣٨) مجلة أطلال، ع٤، ق ٢ أ، ص٥٦

(٣٩) المناسك، ص٣٠٩.

(٤٠) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال. دار الخانجي، مصر؛ مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٥م، ص٣٨-٣٩ .

كل منزلة ينزلونها بطريق مكة دار، ويُعد لهم فيها جميع ما يحتاج إليه من الستور والفرش والأواني وغير ذلك". وربما أصبح هذا القصر - فيما بعد - المكان المخصص لوالي الطريق الذي كلف بحمايته، وجعل من فَيْد مقرًا لهذا الوالي(٤١).

المنازل والأسواق:

تيسرت عوامل الاستقرار والجذب السكاني في مدينة فَيْد خلال العصر العباسي فقطنتها بعض القبائل التي آثرت معيشة الاستقرار الدائم وحياة الحاضرة على حياة التنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد، والتي كانت سائدة عند معظم سكان الجزيرة العربية آنذاك، وقد أشار إلى هذه الظاهرة التي تميزت بها فَيْد عن غيرها من محطات طريق الحج الكوفي ومراكزه كل من الإصطخري(٤٢)، وابن حوقل(٤٣) حيث قالا عن فيد: "ولا بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد". كما عُرفت مدينة فَيْد أيضًا بكثرة السكان القاطنين فيها فقال عنها ابن رستة(٤٤): "وهي كثيرة الأهل".

وكانت المنازل المخصصة للسكنى في فَيْد قد وضعت خارج الحصن في المنطقة الواقعة بين سور المدينة وحصنها حيث أشار ابن جبير(٤٥) وكذلك ابن بطوطة(٤٦) إلى وجود ربض(٤٧) حول الحصن.

---

(٤١) اليعقوبي: المصدر السابق، ص٣١٢ ؛ ابن رستة: المصدر السابق، ص١٥٤.

(٤٢) مسالك الممالك، ص٢٠.

(٤٣) صورة الأرض، ص٤٠.

(٤٤) الأعلاق النفيسة، ص١٥٤.

(٤٥) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(٤٦) رحلة ابن بطوطة، ص١٧٤.

(٤٧) الرَّبَض: ما حول حصن المدينة أو قلعتها من المباني المخصصة للسكن. وجمعها أرباض. (ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ج٧، ص ١٥٢).

وقد بيّن الراشد أن آثار المنازل في فَيْد تظهر في الجهة الشمالية الغربية من الحصن، فقال(٤٨): "أما آثار مدينة فَيْد التاريخية فهي تظهر في الجهة الغربية الشمالية من الحصن، وهذه الآثار عبارة عن الأساسات الجدارية للمنازل القديمة ذات الأحجام المختلفة، ويمكن أيضًا مشاهدة الممرات التي تفصل البيوت بعضها عن بعض. كما أنه يمكن تمييز بعض التفاصيل البنائية بأنها بقايا مساجد للمدينة". وقال في موقع آخر(٤٩): "تنتشر الأساسات الجدارية للمنازل والغرف والطرقات وخلاف ذلك في الجهة الغربية من القصر. وهذه المباني بنيت من الجنادل والأحجار الجرانيتية والنارية غير المنحوتة".

أما الأسواق التجارية في مدينة فَيْد فكانت منتشرة ـ كما يبدو ـ على نطاق واسع في المدينة حيث اشتهرت فَيْد بتميزها التجاري على طريق الحج الكوفي، وتنوع السلع المعروضة للبيع في أسواقها، وهذا ما أكده ابن خرداذبة حيث أشار إلى وجود عدد من الأسواق في فَيْد فقال(٥٠): "وبفيد منبر وأسواق..".

من جانب آخر فإن حفظ الأعلاف وتخزينها لتُسوّق على المارين بفيد من الحجاج – كما هي الطريقة المعروفة والتجارة الرائجة عند أهل فيد(٥١) – يقتضي وجود العديد من الأماكن المهيأة لذلك، وعليه فإننا لا نستبعد انتشار المستودعات وأماكن التخزين في أنحاء متفرقة من المدينة.

الجدير بالذكر أن بعض المصادر قد أشارت إلى وجود منشآت عمرانية مدنية أخرى في فيد، ومنها مسجد تقام فيه صلاة

---

(٤٨) درب زبيدة، ص٢٠١-٢٠٢ .

(٤٩) المرجع نفسه، ص٣٩٦.

(٥٠) المسالك والممالك، ص١٢٧ .

(٥١) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢.

الجمعة(٥٢). كما انفرد البشاري بذكر حمام في فيد(٥٣).

الآبار والعيون والمنشآت المائية:

ضمت مدينة فَيْد إبان العصر العباسي العديد من الآبار والعيون والمنشآت والقنوات المائية التي وضعت لخدمة الحجاج والمسافرين المارين بها عبر طريق الحج الكوفي. وكانت كل محطة من محطات طريق الحج مزودة في هذا العصر بشبكة دقيقة من مصادر المياه تضم برك المياه من الخزانات والأحواض، وكذلك الآبار على اختلاف أنواعها فضلاً عن القنوات والسدود المائية(٥٤).

وتُعد العين التي احتفرها الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥٥)، وكذلك العين التي أنشأها أبو الديلم - مولى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري(٥٦) - في عصر بني أمية(٥٧) من أقدم الموارد المائية التي استمرت تؤدي عملها خلال العصر العباسي(٥٨).

وقد ذكر الحربي عددًا من الآبار والعيون التي أنشأها بعض الخلفاء العباسيين وعدد من رجالات دولتهم في

---

(٥٢) الحربي: المصدر السابق، ص٣٠٩ ؛ المقدسي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٣ ؛ ابن رستة: المصدر السابق، ص١٥٤.

(٥٣) أحسن التقاسيم، ص٢٠٧.

(٥٤) سعد بن عبد العزيز الراشد: برك المياه على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الأخرى. مجلة أطلال، ع٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٦٦.

(٥٥) الحربي: المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٥٦) يزيد بن عمر بن هبيرة من قواد الدولة الأموية المشهورين. ولد سنة ٨٧هـ/٧٠٨م. عرف بالشجاعة والسخاء، وكان خطيبًا مفوهًا. ولي قنسرين في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م). ثم تولى ولاية العراق سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م في عهد مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م). وقتل على يد العباسيين بعد سيطرتهم على العراق سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. (ابن عساكر: تاريخ دمشق. مركز التراث للحاسب الآلي، الإصدار الأول ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ج٦٥، ص٣٢٤-٣٣٦).

(٥٧) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٣، ص١١٠٣.

(٥٨) البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق: مصطفى السقا. ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص١٠٣٣.

فيد(٥٩) فقال في حديثه عن الموجود منها في فَيْد إبان العصر العباسي(٦٠): "وبها.. ثلاث عيون، وآبار ليست بالعذبة، فمن خيارها بئر تُعرف بمسجد الملاقين، وهي بئر عبد الصمد(٦١)، وبئر الفضل بن الربيع(٦٢)، وبئر عمر بن فرج(٦٣)، وبئر عمران بن عمر(٦٤)، وبئر يعرف بالطرفانية، وثلاث من العلافين، وبئر تعرف بوهيب(٦٥)، وعين

---

(٥٩) للمزيد من المعلومات حول جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم الخيرية على طرق الحج، انظر: بدري محمد فهد: تاريخ أمراء الحج، مجلة المورد، م٩، ع٤، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٩٩-٢٠٢ ؛ سعد عبد العزيز الراشد: المرجع السابق، ص ٤٧-٨٢ .

(٦٠) المناسك، ص٣٠٩.

(٦١) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله العباسي، ولد بالحميمة سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م، وتولى إمارة بعض أقاليم الدولة العباسية في عهدي أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد. وكان من المهتمين برواية الحديث. توفي في بغداد وقيل بالبصرة سنة ١٨٥هـ/٨٠١م. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ج٩، ص١٢٩-١٣١ ؛ الفاسي: المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٩-٤٤٢).

(٦٢) هو الفضل بن الربيع بن يونس، تولى الوزارة للخليفة العباسي هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة، وكان قبل ذلك حاجبًا للخليفة الهادي ثم الرشيد. ومال إلى الخليفة الأمين بعد وفاة الرشيد فأصبح مدبر دولته والمتصرف في أموره. توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٩-١١٠).

(٦٣) وهو عمر بن فرج الرخجي، ينسب إلى رخج أحد كور كابل. وكان من أعيان الكتاب في أيام الخليفتين المأمون والمتوكل. وتولى الإشراف على بريد مكة فترة من الزمن. وله العديد من الأعمال الخيرية في مكة. وقد غضب عليه الخليفة المتوكل سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م وصادر أملاكه. (الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي ملحس. ط٤، دار الثقافة، مكة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٥؛ الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص١٦١ ؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٣٨، ١٤٨).

(٦٤) لم أجد له ترجمة فيما توافر لدي من مصادر.

(٦٥) هكذا ورد اسمه، وربما يكون وهيب بن خالد صاحب الكرابيس، كما ذكر ذلك سعد الراشد (درب زبيدة، ص٧٩). ووهيب هذا مولى لباهلة، ومن رواة الحديث الحفاظ الثقات، ذهب بصره بعد سجنه بالبصرة. توفي بالبصرة سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م. (ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج٧، ص٢٨٧ ؛ ابن زبر الربعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم. تحقيق : عبد الله أحمد الحمد. ط١، دار العاصمة، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ج١، ص٣٨٩).

المحل(٦٦) هي التي وراء النخل يقال: إن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ احتفرها، وهي عذبة، والحارة التي وسط الحصن والسوق حفرها....(٦٧)، والباردة التي خارج المنزل على الطريق، حفرها المهدي".

أما السمهودي فقد وصف آبار فَيْد بالكثرة، وأكد تميزها بقرب الماء من سطح الأرض دون أن يذكر أسماءها أو يحدد أماكنها، فقال(٦٨): "وبفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا".

من جانب آخر ذكر الحربي وجود بركة مربعة في فيد(٦٩). كما أشار البشاري إلى هذه البركة دون أن يذكر أنها مربعة فقال عن فيد(٧٠): "بها حمام وبركة.. "؛ وقد أكّد البشاري - أيضًا - وجود موارد مائية أخرى في فيد، فقال(٧١): "وبها عيون وآبار وبرك عذبة وبالبعد ماء حلو". أما ابن خرداذبة فقد أشار إلى وجود عدد من البرك والعيون الجارية في فَيْد دون أن يعطي معلومات دقيقة عنها، فقال(٧٢): "وهي نصف الطريق، فيها عين تجري، وبفيد منبر وأسواق وبرك وعيون جارية"(٧٣).

---

(٦٦) قال الجاسر: "كذا ولعل الصواب (النخل)". (الحربي: المصدر السابق، ص٣٠٩ "الحاشية رقم ٤").

(٦٧) ذكر السمهودي أن الذي حفر هذه العين الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور "١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م". (المصدر السابق، ج٣، ص١١٠٢).

(٦٨) وفاء الوفا، ج٣، ص١١٠٢.

(٦٩) المناسك، ص٣٠٩.

(٧٠) أحسن التقاسيم، ص٢٠٧.

(٧١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧٢) المسالك والممالك، ص١٢٧.

(٧٣) يقول سعد الراشد عن البرك الأثرية الموجودة في فَيْد "فيما يتعلق بالبرك الأثرية الباقية: فقد رأينا وجود بركة إلى الشمال من البلدة الحديثة (جنوب الوادي) وهي مربعة الشكل تصل مساحتها إلى حوالي ٣٥×٣٥ مترًا، وإلى الشرق من هذه البركة توجد بركة أخرى مستطيلة الشكل طولها ٣٠×٢٠ مترًا تقريبًا، ولعلها كانت تتصل بالبركة الأولى بواسطة قناة، وللبركة حوض صغير الحجم في ركنها الشمالي الشرقي، ويحتمل وجود أحواض مياه أخرى مكشوفة تتصل بها قنوات على غرار البركتين السابقتين" (درب زبيدة، ص٢٠٢-٢٠٣).

ونلحظ أن ابن خرداذبة قد أضاف في النص السابق معلومة جديدة وهي جريان العيون الموجودة في فيد، ولذلك فإننا لا نستبعد وجود قنوات مائية توصل هذه العيون ببعض البرك الموجودة فيها، لا سيما وقد أشار ابن رستة إلى وجود قناة مخصصة للزراعة(٧٤)، وكذلك قدامة بن جعفر الذي قال(٧٥): "وفيها قناة تزرع". من جانب آخر ألمح ابن جبير إلى وجود قنوات مائية تجري تحت الأرض وتصل بين بعض الآبار والعيون في فَيِّد فقال(٧٦): "والماء بهذا الموضع كثير في آبار تمدها عيون تحت الأرض".

وقد أكدت بعض الدراسات الاستكشافية الحديثة للموقع وجود بعض القنوات في فيد؛ حيث يقول سعد الراشد حول الموضوع (٧٧): "وفي داخل البلدة الحديثة يلحظ وجود بقايا للعيون والقنوات القديمة، وهذه عبارة عن آبار اتصل بعضها ببعض بمجار أرضية يحتمل أنها تتصل بالآبار الأخرى في المدينة القديمة "(٧٨).

أما ابن جبير فقد أفصح عن مصدر آخر للمياه في فَيِّد سوى ما ذكرنا حيث أشار إلى وجود أحواض خاصة معدة لحفظ مياه الأمطار للحجاج في مدينة فَيِّد بشكل متواصل، فقال(٧٩): "والمياه موجودة بحمد الله في مصانع(٨٠) كثيرة.. "، وقال أيضًا(٨١): ".. ووجد الحاج فيها مصنعًا قد اجتمع فيه الماء من المطر، فانتزف للحين".

---

(٧٤) الأعلاق النفيسة، ص١٥٤.

(٧٥) الخراج وصنعة الكتابة، ٢٦٥.

(٧٦) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(٧٧) درب زبيدة، ص٢٠٢.

(٧٨) كما ذكر فريق المسح المكلف بدراسة موقع طريق زبيدة وجود عدد من القنوات المائية التي تصل بين البرك الموجودة في فيد. (صلاح الحلوة ونيل ماكنزي: المرجع السابق، ص٥٦-٥٧).

(٧٩) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(٨٠) المصانع: هي تلك الأحواض التي تُعد لجمع مياه الأمطار ليستفيد منها من يعبر الطريق من الحجاج وغيرهم. (بدري محمد فهد: المرجع السابق، ص٢٠٠).

(٨١) ابن جبير: المصدر السابق، ص١٨٣.

من جانب آخر فقد أشار الحربي إلى وجود آبار أخرى قريبة من فَيّد فقال(٨٢): "وعلى مقدار ميل من فَيّد على الطريق يسرةً آبار كثيرة وماء طيب..".

الجدير بالذكر أن لزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م) الكثير من المآثر العمرانية على طرق الحج العراقية، ومنها - بطبيعة الحال - بعض ما ذكرنا في فيد، يقول نظام الملك حسين الطوسي(٨٣): "وأمرتْ زبيدة بحفر الآبار الكبيرة الواسعة وإقامة الأحواض وصهاريج الماء في كل مرحلة من المراحل الممتدة على طريق الحج من الكوفة إلى مكة والمدينة، على أن تبنى جميعها من قمتها إلى قاعها بالحجر والآجر المشوي والجص والملاط لتوفير المياه للحجيج في الصحراء التي كان يموت فيها سنويًا آلاف الحجاج عطشًا؛ فحفرت الآبار وأقيمت الصهاريج".

وقد بيّن ابن جبير - وهو يصف رحلته من مكة إلى العراق - بناء زبيدة لهذه المرافق الخيرية، واستمرار هذه المآثر تقدم خدماتها حتى مروره بها في أواخر القرن السادس الهجري، فقال(٨٤): "وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج هارون الرشيد وابنة عمه، وانتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعمّ وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سُلكت هذه الطريق، والله كفيل بمجازاتها، والرضا عنها". كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة - وهو يصف رحلته من

---

(٨٢) المناسك، ص٣١٠.

(٨٣) سياسة نامه. تحقيق: حسين يوسف بكار. ط٢، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ، ص١٨٥.

(٨٤) رحلة ابن جبير، ص١٨٥.

مكة إلى العراق أيضًا - فقال(٨٥): "وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من كريم آثارها، جزاها الله خيرًا ووفى لها أجرها، ولولا عنايتها بهذا الطريق ما سلكها أحد". وكان أمر زبيدة ببناء هذه المصانع والبرك وغيرها عندما حجت سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م(٨٦).

من جانب آخر فإن الدولة العباسية دأبت على إصلاح الطريق وتفقد مرافقه وبذل النفقة في سبيل استمرار خدمته للحجاج، وذلك عن طريق دعم الوالي الموكل إليه أمر الطريق بالأموال اللازمة(٨٧). كما يمنح والي الطريق - أيضًا - بعض أموال الصدقات التي تأخذها الدولة العباسية من بعض القبائل في الجزيرة العربية(٨٨).

إضافة إلى ذلك فقد حرص بعض الخلفاء ورجال الدولة وغيرهم من المقتدرين على ترك بعض المآثر على طرق الحج من الصدقات الجارية التي تخلد ذكرهم ويبتغون من ورائها الأجر والمثوبة من الله، وكان من أبرز من لهم مآثر محمودة في فَيْد - بالإضافة لمن ورد ذكرهم في النصوص السابقة - عضد الدولة البويهي(٨٩) حيث يقول البشاري في حديثه عن فيد(٩٠): "وبها... آثارات لعضد الدولة يوجد بها كل خير". ولم يحدد المقدسي نوع هذه المآثر لعضد الدولة

---

(٨٥) رحلة ابن بطوطة، ص١٧٥.

(٨٦) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٩، ص٢٠.

(٨٧) الطبري: المصدر السابق، ج٩، ص٣٧١-٣٧٢، ج١٠، ص١٣٣.

(٨٨) ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص١٢٧.

(٨٩) وهو فناخسرو بن حسن بن بويه الديلمي. أحد سلاطين بني بويه المشهورين. تولى السلطة في العراق سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م. وصفه الذهبي بقوله: "كان بطلاً شجاعًا مهيبًا، نحويًا أديبًا عالمًا، جبارًا عسوفًا، شديد الوطأة". وكان مهتمًا بالعمارة وله العديد من الأعمال الخيرية. توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م. (ابن خلكان: المصدر السابق، ج٤، ص٥٠-٥٥ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٩-٢٥٢).

(٩٠) أحسن التقاسيم، ص٢٠٧.

البويهي ولا طبيعتها، إلا أن مسكويه أشار إلى أعماله الإصلاحية على طريق الحج بصفة عامة، فقال(٩١): "ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج، وزال ما كان يجري عليهم من القبائح وضروب العسف، وأقيمت السواني في مناهل الطريق، وحفرت الآبار، واستفيضت الينابيع". كما قال ابن الأثير عن عضد الدولة البويهي خلال ذكره لبعض الأعمال التي قام بها خلال حكمه(٩٢): "وأطلق مكوس الحجاج، وأصلح الطريق من العراق إلى مكة".

وقد أُثر عن السلطان السلجوقي ملكشاه(٩٣) القيام بجهود خيرية متنوعة لخدمة الحجاج القادمين من العراق؛ من بناء المصانع وتجديدها وحفر الآبار في محطات الطريق التي تعد مدينة فَيْد من أبرزها آنذاك، يقول المقدسي عن السلطان ملكشاه(٩٤): "وعمل السلطان من الخيرات وأبواب البر كثيرًا، منها ما أصلحه، وعمله من المصانع بطريق مكة وحفر الآبار..".

وكانت موارد الماء ومنشآتها على طرق الحج - بصفة عامة - عرضة للكثير من الاعتداءات التخريبية من بعض الفئات التي تعارض الدولة العباسية أو ترمي إلى الكسب عن طريق النهب والسلب لقوافل الحجاج والتجار، ونظرًا لما تتمتع به مدينة فَيْد من مكانة سياسية ونشاط تجاري خلال العصر العباسي فقد عانت الكثير من الويلات التي استهدفت ضرب المراكز الحيوية فيها، ومن

---

(٩١) تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت)، ج٢، ص٤٠٧.

(٩٢) الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٠٠.

(٩٣) وهو ملكشاه بن ألب أرسلان، أحد سلاطين السلاجقة العظام. حكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. وقد بلغت دولة السلاجقة في عهده أقصى اتساع لها حيث خطب له على منابر بلاد الإسلام سوى المغرب. وكان حسن السيرة، محبًا لأعمال الخير، حريصًا على التشييد والعمارة. وقد استمر في الحكم حتى وفاته سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. (ابن خلكان: المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٣-٢٨٩ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٤-٥٨).

(٩٤) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. دار الجيل، بيروت، (د. ت)، ج١، ص٢٦.

أبرز ذلك ما ذكره ابن الجوزي عندما أشار إلى أعمال موفق الخادم الخاتوني في فَيْد بعد دخول بني نبهان وتخريبهم فيها، فقال(٩٥): "وأنفذ الصناع لتنقية العين والمصنع، وكانت العرب طموهما، واغترم على ذلك مالاً كثيرًا".

الحياة الاقتصادية:

أولاً - الزراعة:

توافرت في مدينة فَيْد عوامل متعددة أسهمت في ظهور النشاط الزراعي وتطوره فيها على نطاق واسع، فبالإضافة إلى الاستقرار البشري، وتوافر المياه بواسطة الآبار والعيون والقنوات المائية في فَيْد وقربها من سطح الأرض - الذي أشرنا إليه قبل ذلك - كانت فَيْد أيضًا ذات تربة خصبة صالحة للزراعة والاستغلال حتى وصفها الحازمي بقوله(٩٦): "فيد أكرم نجد".

ويُعدّ أبا الديلم - مولى يزيد بن عمر بن هبيرة - أول من غرس في فَيْد بعد أن حفر فيها عينًا، يقول البكري مبينًا ذلك(٩٧): "وأول من حفر فيه حفرًا في الإسلام أبو الديلم مولى يزيد بن عمر بن هبيرة، فاحتفر العين التي هي اليوم قائمة، وأساحها، وغرس عليها".

وقد أكد الحربي وجود بساتين في فيد(٩٨)، وذكر - أيضًا - وجود نخيل حول عين المحل (النخل)(٩٩)، كما أشار الحربي ـ أيضًا ـ إلى انتشار نخيل ومزارع أخرى على بعد ميل فقط من المدينة نفسها في الطريق إلى مكة(١٠٠). أما الإصطخري فقد ذكر أن في فَيْد نخيلاً

---

(٩٥) المنتظم، ج١٧، ص١٩٨.

(٩٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢.

(٩٧) معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٣٣.

(٩٨) المناسك، ص٣٠٩.

(٩٩) المصدر نفسه، ص٣٠٩.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص٣١٠.

وزرعًا وصفها بالقلة، فقال(١٠١): "وفيها نخيل وزرع قليل لطيئ.. ". وقد أشار كل من ابن رستة(١٠٢)، وقدامة بن جعفر(١٠٣) إلى وجود زراعة في فَيْد تعتمد في السقيا على قناة مهيأة لهذا الغرض.

وتوضح النصوص السابقة أن التمور من أهم المنتجات الزراعية في فيد؛ حيث أكدت انتشار النخيل في مواقع مختلفة من المدينة(١٠٤)، ومع أن المصادر آنفة الذكر لم تحدد لنا نوعية التمور التي تنتج في فَيْد وأصنافها، إلا أنها لا تختلف ـ من وجهة نظرنا ـ كثيرًا عن الأنواع المنتشرة في منطقة نجد آنذاك.

توضح النصوص أن التمور من أهم المنتجات الزراعية في فيد

من جانب آخر فقد أشارت المصادر السابقة إلى انتشار زراعة أنواع من الحبوب في فيد، وذلك من خلال التأكيد على وجود بعض الزروع فيها.

وحيث إن الأعلاف من السلع الرائجة في أسواق فيد؛ حيث أوضح ذلك ياقوت الحموي بقوله(١٠٥): "ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم"، فإننا لا نستبعد وجود مزارع متعددة تُعنى بإنتاج الأعلاف لتغطية حاجة أسواق فَيْد من هذا المنتج، ولا سيما في مواسم الحج.

ومع أن المصادر المتاحة لا تذكر إنتاج فَيْد للفواكه والخضروات أو النوعيات المنتجة منها، إلا أننا لا نستبعد وجودها في هذه المنطقة

---

(١٠١) مسالك الممالك، ص٢٠.

(١٠٢) الأعلاق النفيسة، ص١٥٤.

(١٠٣) الخراج وصنعة الكتابة، ص٢٦٥.

(١٠٤) ولمعرفة أنواع التمور في نجد وأصنافها في القرون الإسلامية الأولى، انظر: (عبد الله محمد السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٦٦).

(١٠٥) معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

خاصةً وأن بعض المصادر السابقة نصت على وجود البساتين فيها، والبساتين كما هو معروف تتضمن - غالبًا - الفواكه والخضروات، فضلاً عن أن الخضار والفواكه المتنوعة كانت منتشرة على نطاق واسع في أغلب مناطق جزيرة العرب آنذاك(١٠٦)، وفيد من أبرز المراكز فيها.

ثانيًا - التجارة:

شهدت مدينة فَيِّد خلال العصر العباسي نشاطًا تجاريا ملموسًا تميزت به عن نظيراتها من مدن وسط الجزيرة العربية وقراها التي يمر بها طريق الحج الكوفي، حيث ازدهرت تجارتها وانتشرت فيها الأسواق وتعددت السلع المعروضة فيها. ولا شك أن هناك بعض الأسباب التي هيأت لهذه المدينة ذلك الازدهار والتطور التجاري، ومن ذلك الموقع المتميز لمدينة فَيِّد في منتصف طريق الحج الكوفي الذي يربط بين عاصمة العباسيين مدينة بغداد وبين مكة، والمعروف بدرب زبيدة؛ حيث هيأ هذا الموقع لفيد العديد من الفرص التجارية من خلال حركة البيع والشراء والتبادل التجاري المتنوع بين أهلها، ومن يمر بهم من قوافل الحجاج والتجار وغيرهم، ولا سيما أن فيدًا تعد من المحطات الرئيسة التي تمكث فيها القوافل وقتًا لأخذ قسط من الراحة. وقد أكد عدد من البلدانيين والجغرافيين تميز موقع مدينة فَيِّد وحيويته على هذا الطريق الذي يُعد من أبرز خطوط المواصلات في العصر العباسي، فقال ابن خرداذبة(١٠٧): "فيد وهي نصف الطريق". كما قال الإدريسي(١٠٨): "فيد من بلاد البادية، وهي في

---

(١٠٦) لمزيد من المعلومات عن أنواع المحاصيل الزراعية في الجزيرة العربية لا سيما في نجد والحجاز في صدر الإسلام، انظر (عبد الله محمد السيف: المرجع السابق، ص٥٩-٧٢).

(١٠٧) المسالك والممالك، ص١٢٧.

(١٠٨) نزهة المشتاق، ج١، ص٣٨٠.

منتصف الطريق ما بين بغداد ومكة". كما ذكر ذلك ابن رستة حيث قال عن فيد(١٠٩): "وهو نصف الطريق". وقال ياقوت الحموي(١١٠): "فيد بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة". أما الحميري فقال عن فيد(١١١): "مدينة في نصف الطريق بين مكة وبغداد". وقد منح هذا الموقع مدينة فَيْد مكانة متميزة عند الخلافة العباسية، فجعلوا منها المقر الدائم لواليهم الذي كلف برعاية مصالح هذا الطريق والإشراف عليه(١١٢). كما غدت فَيْد إحدى المحطات التجارية المشهورة على هذا الطريق الذي شهد آنذاك إقامة أسواق تجارية في المحطات التي يمر بها الحجاج والتجار تفي بحاجة القوافل وتنتعش بوصول الحجاج(١١٣).

ومن العوامل التي أدت إلى زيادة النشاط التجاري في فَيْد - أيضًا - موقعها المتوسط بين عدد من القبائل مثل طيئ وأسد وغيرها حيث اختلطت بها هذه القبائل واشتركت في سكناها، يؤكد البكري ذلك بقوله(١١٤): "كان فَيْد فلاة من الأرض بين أسد وطيّئ". ويقول السمهودي(١١٥): "فيد بطيئ(١١٦) لبني نبهان، وبه أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم". وبهذا فقد اختلطت بها هذه القبائل واحتك بعضها ببعض، ولا سيما بعد أن أصبحت مدينة فَيْد إبان العصر العباسي حاضرة لهذه القبائل ومقرَّ واليها.

---

(١٠٩) الأعلاق النفيسة، ص١٥٤.

(١١٠) معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

(١١١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٤٣.

(١١٢) اليعقوبي: المصدر السابق، ص٣١٢ ؛ ابن رستة: المصدر السابق، ص١٥٤ ؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص٢٦٥.

(١١٣) سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج. ط١، دار تهامة، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١١-١٢.

(١١٤) معجم ما استعجم، ج٣، ص١٠٣٣.

(١١٥) وفاء الوفا، ج٣، ص١١٠٢.

(١١٦) هكذا وردت في النص، ويبدو أن صحة الكلمة "لطيئ".

من جانب آخر فقد توافر في فَيّد خلال العصر العباسي عامل مهم من عوامل التطور الاقتصادي ألا وهو استقرار السكان وكثرة عددهم في فَيّد خلال هذا العصر(١١٧)، ولا شك أن لذلك أثره في ممارسة العديد من الأنشطة الزراعية والتجارية والصناعية وغيرها واستمرارها.

ولا شك أن للنشاط الزراعي وكثرة المنتجات الزراعية في فَيّد - الذي أشرنا إليه قبل ذلك - أثره في إحياء الأسواق التجارية وزيادة الحركة فيها. هذا فضلاً عن تحريك هذه الأسواق بما يجلب من المواشي المختلفة ومنتجاتها من اللحوم والألبان وغيرها، خاصة وأن المنطقة معروفة بكثرة المناطق الصالحة للرعي فيها، حتى إن منطقة واسعة من فَيّد وبعض المناطق المجاورة لها اختيرت في صدر الإسلام ضمن الأحمية(١١٨) في جزيرة العرب آنذاك(١١٩).

يضاف إلى ما سبق من عوامل ساعدت على تطور النشاط التجاري في فَيّد ما كانت تتمتع به هذه المدينة من الأمن والحصانة خلال فترات كثيرة من العصر العباسي حتى أصبحت المكان الآمن الذي يجد الحجاج فيه وفي أهله خير مكان يثقون به لوضع بعض أزوادهم وأمتعتهم، وهذا ما يؤكده البشاري بقوله عن فيد(١٢٠): "وبها يودع الحجاج أزوادهم، وثمّ (وهم) ثقات". ويقول ابن جبير عن فَيّد

---

(١١٧) ابن رستة: المصدر السابق، ١٥٤ ؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص٢٠ ؛ ابن جبير: المصدر السابق، ص١٨٣.

(١١٨) الحِمى: موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٢، ص١٠١٤). وقال السمهودي: الحِمى لغة: الموضع الذي فيه كلأ يحمى ممن يرعاه. وشرعًا: موضع من الموات يمنع من يتعرض له ليتوافر فيه الكلأ فترعاه مواش مخصوصة. (وفاء الوفا، ج٣، ص١٠٨٢). الجدير بالذكر أن نهاية حجز حمى فَيَّد - كغيره من الأحمية الأخرى - كان في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م). (البكري: المصدر السابق، ج٢، ص٦٣٣).

(١١٩) البكري: المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣٢-١٠٣٥ ؛ السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص١١٠٣-١١٠٤.

(١٢٠) أحسن التقاسيم، ص٢٠٧.

عندما وصلها سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م(١٢١): "وهنا يترك الحجاج بعض زادهم إعدادًا للإرمال من الزاد عند انصرافهم، ولهم بها معارف يتركون أزودتهم عندهم". أما ياقوت الحموي فيقول(١٢٢): "..يُودع الحجاج فيها أزوادهم وما ثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئًا من ذلك، وهم مغوثة الحجاج في مثل ذلك الموضع المنقطع".

ومهما يكن من أمر فقد انتشرت الأسواق إبان العصر العباسي في فيد(١٢٣)، ومع أننا لا نشك في استمرار التحرك التجاري في أسواق فَيّد طوال السنة نظرًا لكثرة السكان المستقرين بها ووقوعها على أحد الطرق المهمة التي تربط عاصمة الخلافة بالأماكن المقدسة، إلا أن الحركة التجارية في فَيّد تنشط بشكل كبير وغير طبيعي خلال مواسم الحج، ويصور لنا ابن جبير الحركة التجارية في فَيّد عند وصول الحجاج إليها، فيقول(١٢٤): "وهو معمور بسكان من الأعراب ينتعشون مع الحاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق". وهذا ما أكده ابن بطوطة فيما بعد، فقال عن فيد(١٢٥): "وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة". وكان لما يكتسبه أهل فَيّد ـ كغيرهم ممن يمر بهم طريق الحج ـ من فوائد مادية خلال المواسم أثر في سعة معيشة أهله ورغد عيشهم طوال العام(١٢٦).

وفي هذه الأسواق يعرض أهل فَيّد ما لديهم من سلع ومنتجات متنوعة، ومن أبرزها المواشي من الأغنام والجمال، وكذلك الألبان

---

(١٢١) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(١٢٢) معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

(١٢٣) ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص١٢٧ ؛ السهمي: تاريخ جرجان، ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص٢٢٣.

(١٢٤) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(١٢٥) رحلة ابن بطوطة، ص١٧٤.

(١٢٦) سيد عبد المجيد بكر: المرجع السابق، ص١٢.

وبعض مشتقاتها فضلاً عن العسل، يقول ابن جبير عن حركة سوق فَيْد وما يباع فيه من السلع(١٢٧): "وامتلأت أيدي الحاج القَرَمين(١٢٨) من أغنام العرب بالمبايعة المذكورة، فلم يبق مضرب ولا خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان بحسب القدرة والوجد، فعم جميع المحلة غنم العرب، وكأن ذلك اليوم عيد من الأعياد. وكذلك عمتهم أيضًا جمالهم لمن أراد الابتياع منهم من الجمالين سواهم للاستظهار على الطريق. أما السمن والعسل واللبن فلم يبق إلا من تحمل أو استعمل منها بقدر حاجته".

كما ذكر ياقوت الحموي أن الأعلاف كانت من أبرز السلع المعروضة بأسواق فيد، حيث يقول(١٢٩): "ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم".

ولا نستبعد أيضًا وجود مواد غذائية أخرى تعرض في أسواق فَيْد كبعض أنواع الحلوى مثل الفالوذج(١٣٠) حيث ورد أن يحيى بن معين(١٣١) أُهدي له فالوذج وهو بفيد في طريقه للحج(١٣٢). وكذلك

---

(١٢٧) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(١٢٨) القَرَمين: جمع قَرَم. والقَرَم شدة الشهوة إلى اللحم. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٠٤).

(١٢٩) معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

(١٣٠) الفالوذج: نوع من الحلوى، يعمل من لب الحنطة. ويقال له - أيضًا - الفالوذ. والكلمة فارسية معرّبة. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٦٠).

(١٣١) هو الإمام الحافظ يحيى بن مَعِين بن عون البغدادي، وشيخ المحدثين، ولد سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م، وسمع من سفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وإسماعيل بن عياش وغيرهم. وكان من أهل الدين والفضل. جمع السنن وكثرت عنايته بها، حتى صار - كما يقول ابن حبان - علمًا يقتدى به في الأخبار وإمامًا يرجع إليه في الآثار. توفي بالمدينة سنة ٢٣٣هـ /٨٤٧م. (ابن حبان: الثقات، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، جـ٩ ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ١١ ص ص ٧١ - ٩٦).

(١٣٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٩٠.

الكعك الجيد الذي اشتهرت به مدينة فَيْد حتى أصبح يضرب بجودته المثل(١٣٣).

أما الحجاج فإنهم يأتون معهم ببعض السلع التي يحتاجها أهل فَيْد والمناطق المجاورة لها من سكان وسط الجزيرة العربية، وكان من أبرز السلع التي يجلبها الحجاج لتسويقها أثناء رحلتهم للحج شقق الخام، يقول ابن جبير في حديثه عن تبادل الحجاج السلع مع أهل سميراء(١٣٤) – مثلاً – (١٣٥): "فبادروا الابتياع لذلك بشقق الخام التي يصطحبونها لمشاراة الأعراب، لأنهم لا يبايعونهم إلا بها". وبيّن ابن الجوزي أن الحجاج يصطحبون معهم في رحلة العودة من الحج الثياب المصرية والأمتعة اليمنية(١٣٦). ويبدو أن الحجاج يأتون أثناء قدومهم من العراق وبلدان المشرق الإسلامي المختلفة بالسلع التي تشتهر بإنتاجها هذه البلدان، في حين يأتون بأخرى عند عودتهم مما ينتج في بلاد الحجاز، أو ترد إليها مع حجاج الأمصار الأخرى وتجارها.

وكانت أسواق فَيْد محل عناية الخلافة العباسية حيث أورد ابن الجوزي معلومات تؤكد اهتمام الدولة العباسية بأسواق فَيْد ومراقبتها والحرص على تنظيمها، نظرًا لموقعها الحيوي في طريق الحج العراقي إلى الحجاز، حيث قال عن أهل فَيْد – بعد أن ذكر هجوم بني نبهان على مدينتهم وتخريبها سنة ٥١٥هـ/١١٢١م – : "فتوجع الناس لهم وعلموا أن خراب حصنهم سبب لانقطاع منفعة

---

(١٣٣) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية "شمال المملكة". دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص١٠٥٠.

(١٣٤) سَمِيراء: من المنازل المهمة على طريق الحج الكوفي، وتقع بعد توز للمتجه إلى مكة. وسميت بهذا الاسم لوجود جبال وآكام سود حولها. (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٥).

(١٣٥) رحلة ابن جبير، ص١٨٢.

(١٣٦) المنتظم، ج١٤، ص٣٣٧.

الناس من الحجيج"(١٣٧). ثم بيّن ابن الجوزي - بعد ذكره للإصلاحات العمرانية التي عملت في فَيْد - بعض الترتيبات التي اتخذت لتنظيم أسواق فَيْد بعد الهجوم السابق فقال(١٣٨): "وألزم الباعة أن يرفعوا إلى السلطان(١٣٩) ثلثي ما يأخذونه من الدلالة في كل ما يباع، وفرض على كل نول(١٤٠) من السقلاطون(١٤١) ثمانية أقساط(١٤٢) وحبة، ثم قيل للباعة: زنوا خمسة آلاف شكرًا للسلطان؛ فقد تقدم بإزالة المكس". وكما يتضح فإن السلطة قد فرضت في بداية الأمر على الباعة في سوق فَيْد مكسًا مقداره ثلثي عمولتهم من العمليات التجارية التي يقومون بها، فضلاً عما يؤخذ من مكس عن السقلاطون (الثياب) التي تباع في هذه الأسواق، ثم ألغيت جميع هذه المكوس المفروضة على أسواق فَيْد بأمر من السلطة في العراق.

ثالثًا - تربية الماشية:

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى في فَيْد تربية الماشية من الإبل والأغنام وغيرها، حيث تعتمد حياة معظم سكانها على تربية الماشية التي أسهم في نجاحها كثرة المراعي حول فيد، ومن أبرزها الحِمى المعروف عند فَيْد والمسمى باسمها، فضلاً عن شهرة المنطقة بالزراعة واهتمام أهلها بهذا الجانب. وقد بين الإصطخري اعتماد أهل فَيْد

---

(١٣٧) المصدر نفسه، ج١٧، ص١٩٨.

(١٣٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٣٩) كان السلطان السلجوقي صاحب السلطة في بغداد آنذاك هو محمود بن محمد بن ملكشاه (٥١١-٥٢٥هـ)، أما الخليفة العباسي فهو المسترشد بن المستظهر (٥١٢-٥٢٩هـ).

(١٤٠) النَّوْل: خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب. والجمع أنوال. والمنوال: الحائك الذي ينسج الوسائد ونحوها. والنَّوْل: منسج يُنْسج به، وأدواته المنصوبة تسمى أيضا منوالاً. والمنوال: النساج. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٨، ص٤٥٨٣).

(١٤١) السقلاطون: نوع من الثياب. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٤١).

(١٤٢) القسط: مكيال، وهو نصف صاع. ومقداره أربعمئة وواحد وثمانون درهمًا. (ابن منظور: المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٢٧).

على تربية الماشية قائلاً(١٤٣): "ويسكنها بادية من طيئ ينتقلون عنها في بعض أيام السنة للمراعي". وقد رأينا عند الحديث عن السلع المعروضة في أسواق فَيْد كثرة الأغنام والإبل التي تباع في هذه الأسواق خلال قدوم الحجاج من العراق أو عودتهم إليه.

الحياة الاجتماعية:

كان الاستقرار السكاني في مدينة فَيْد طوال أيام السنة سمة ميزتها عن مثيلاتها من مراكز ومحطات طريق الحج الكوفي، وهذا ما أكّده الإصطخري عندما قال عن فيد(١٤٤): "ولا بين المدينة والعراق مكان مستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد". وكذلك ابن جبير الذي قال عنه أيضًا(١٤٥): "وهو معمور بسكان من الأعراب".

ومع أن المصادر المتاحة لا تسعفنا في معرفة عدد سكان مدينة فَيْد خلال العصر العباسي، إلا أن ابن رستة أكّد كثرتهم بقوله(١٤٦): "وهي كثيرة الأهل".

وتشترك مجموعة من القبائل في سكنى مدينة فَيْد إبان العصر العباسي؛ حيث مثلت بعض بطون قبائل طيئ وأسد عناصر السكان الأساسية فيها في أوائل العصر العباسي، ويؤكد ذلك عمد الخلفاء العباسيون إلى إسناد ولاية فَيْد إلى أفراد من القبيلتين بالتناوب(١٤٧). ويبدو أن التقدم الحضاري الذي طرأ على مدينة فَيْد خلال العصر العباسي قد دفع مجموعة من القبائل الأخرى إلى الاستقرار بها، يقول السمهودي(١٤٨): "فيد بطيئ (لطيئ) لبني نبهان، وبه أخلاط من

---

(١٤٣) مسالك الممالك، ص٢٠.

(١٤٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٤٥) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(١٤٦) الأعلاق النفيسة، ص١٥٤.

(١٤٧) مؤلف مجهول: مختصر جمهرة النسب لابن هشام الكلبي. اللوحة رقم ٢٦٨ب.

(١٤٨) وفاء الوفا، ج٣، ص١١٠٢.

أسد وهمدان وغيرهم". ويقول ياقوت الحموي عن سكانها(١٤٩): "وهي أثلاث: ثلث للعمريين، وثلث لآل أبي سلامة من همدان، وثلث لبني نبهان من طيئ".

ويبدو أن ممارسة التجارة التي ازدهرت في فَيْد إبان العصر العباسي، كما سبق أن أشرنا قد استقطبت الكثير من سكان فَيْد واستهوتهم فاعتمدوا عليها في معيشتهم؛ حيث أصبحت من أبرز مناشط أهل فَيْد وأعمالهم، يقول ابن جبير موضحًا ذلك خلال حديثه عن فيد(١٥٠): "وهو معمور بسكان من الأعراب ينتعشون مع الحاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق".

وهناك من عُني من أهل فَيْد بالعمل في مجال الزراعة حيث انتشرت فيها مزارع النخيل وأنواع من البساتين، فضلاً عن مزارع الأعلاف وغيرها(١٥١). إضافة إلى ذلك فقد مارس عدد آخر من أهل فَيْد حرفة الرعي حيث كانت تربية الماشية - كما أشرنا سابقًا - من أبرز الأنشطة الاقتصادية في فَيْد خلال العصر العباسي.

الحياة العلمية:

لقد نال أهل فَيْد حظًا وافرًا من العلم بعد اعتناقهم للإسلام حيث دأبوا على تعلم مبادئه والتفقه فيه، ولاسيما وقد حرص المصطفى ﷺ على بعث رجال من أصحابه إلى القبائل التي اعتنقت الإسلام لتعليمهم القرآن وتفقيههم في الدين، كما وفد الكثير من أهل فَيْد

---

(١٤٩) معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢.

وقد نقل ياقوت الحموي هذه المعلومات عن كتاب لأحمد بن الحسن السكوني الذي عاش في القرن الرابع الهجري، بعنوان "أسماء مياه تهامة"، وهو مفقود الآن (انظر: الحربي: المصدر السابق، ص٢٦٦ "مقدمة المحقق").

(١٥٠) رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

(١٥١) الحربي: المصدر السابق، ص٣٠٩؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص٢٠؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢.

ومن حولها إلى المدينة للغرض نفسه. من جانب آخر تمتعت مدينة فَيْد بمكانة علمية بارزة منذ القرن الأول الهجري بعد أن أصبح مسجدها الجامع مركزًا علميًا يستقطب العلماء وطلاب العلم من أماكن مختلفة(١٥٢).

وقد ازداد النشاط العلمي في فَيْد إبان العصر العباسي؛ حيث اهتم بعض أبناء فَيْد بالعلم وطلبه، فكانوا مرجعًا للطالبين ومقصدًا للراغبين في العلم، كما استقر فيها عدد آخر من علماء الأمصار الإسلامية استقرارًا دائمًا، وهناك من نزلها فترة من الزمن، أو مرّ بها في طريقه من الحجاز وإليه. وكان لهؤلاء وأولئك الأثر الواضح في خلق جو علمي ملائم فيها؛ حيث ساهموا في تنشيط الحركة العلمية ومناشطها المختلفة من خلال دروسهم ومساهماتهم العلمية المتعددة خلال العصر العباسي.

اهتم بعض أبنا فَيْد بالعلم وطلبه، فكانوا مرجعًا للطالبين ومقصداً للراغبين

ولا شك أن هناك عددًا من العوامل التي هيأت لمدينة فَيْد هذه الحركة العلمية التي لا نراها في نظيراتها من مدن وسط شبه الجزيرة العربية وقراها إبان العصر العباسي، ومن أهم هذه العوامل طبيعة أهل المنطقة ولاسيما قبيلة طيئ واهتمامهم بالعلم وارتباطهم به منذ العصر الجاهلي حيث عُرفوا بوضع الخط العربي وتعلمه(١٥٣). ثم ازداد حبهم للعلم وطلبه بعد ظهور الإسلام واعتناقهم

---

(١٥٢) يقول الدكتور السيد طه أبو سديرة الذي يميل إلى أن جامع فَيْد أول المساجد التي قامت في بلاد الجبلين بعد ظهور الإسلام: "غدت فَيْد ومسجدها الجامع موئلاً للمسلمين من سكان الجبلين ممن يفدون إليها لتحصيل العلم، ومن أبناء الصحابة والتابعين ممن كان لهم شرف الصحبة والذهاب إلى المدينة لتلقي العلم بها، أمثال يحيى بن حيان "أبو هلال الطائي" (ت٨٠ هـ/٦٩٩م) وعروة بن زيد الخيل (ت٨٠ هـ/٦٩٩م) وأخوه مكنف بن زيد الخيل". (حائل في صدر الإسلام. ط١، دار الأندلس، حائل، ١٤١٦هـ، ص١٤٥).

(١٥٣) السيد طه أبو سديرة: المرجع نفسه، ص١٢٥.

له؛ حيث دأبوا على تعلّم القرآن والتفقه في الدين، بل غدا المسجد الجامع في مدينة فَيْد - كما سبق ذكره - مدرسةً علمية يجتمع فيه العلماء وطلاب العلم من أهل فَيْد والمناطق المجاورة لها.

ثم إن توسط فَيْد في الطريق بين مكة والمدينة في الحجاز من جهة، والكوفة وبغداد في العراق من جهة أخرى وهن حواضر علمية معروفة، أثره في إفادة هذه المدينة من حيث سهولة اتصال أهلها بعلماء هذه الحواضر والاستفادة منهم، فضلاً عن استفادتهم من مرور الكثير من العلماء بفيد أثناء تحركاتهم بين العراق والحجاز، حيث نشطت هذه التحركات العلمية بين هذين القطرين خصوصًا في ظل الازدهار العلمي الذي شهدته عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

ولا ننسى المكانة السياسية والتطور الحضاري الذي كانت عليه فَيْد خلال العصر العباسي، وأثرهما في خلق أجواء علمية ملائمة في مدينة فيد، وذلك عندما أصبحت أكبر مدينة يمر بها الحجاج بين بغداد ومكة، وجعل منها مقرًا لوالي هذا الطريق، فضلاً عن أثر الاستقرار السكاني، والتطور العمراني، والاقتصادي الذي وصلت إليه فَيْد إبان العصر العباسي الذي أشرنا إليه في الصفحات الماضية.

وكان من أبرز العلماء الذين أثروا الحياة العلمية في فَيْد خلال العصر العباسي؛ محمد بن جعفر بن أبي مواتية الكلبي العلاف، المعروف بالفيدي، وهو من المهتمين بالحديث النبوي الشريف سماعًا ورواية. قال الخطيب البغدادي(١٥٤): "ذكر بعض أهل العلم أنه بغدادي، سكن في فيد". وقال البخاري(١٥٥): "أرى أصله كوفيًا". وتبعه في ذلك السمعاني حيث قال(١٥٦): "من أهل الكوفة نزل فيدًا، وإنما قيل له الفيدي لنزوله بها".

---

(١٥٤) تاريخ بغداد. دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص١١٨.

(١٥٥) التاريخ الكبير. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج١، ص٥٧.

(١٥٦) الأنساب، ج٤، ص٤١٦.

وقد تتلمذ محمد بن جعفر العلاف على عدد من العلماء، منهم: وكيع بن الجراح(١٥٧)، ومحمد بن فضيل بن غزوان(١٥٨)، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي الكوفي(١٥٩)، ويزيد بن هارون(١٦٠)، ويحيى بن اليمان العجلي(١٦١)، وجابر بن نوح

---

(١٥٧) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي عالم محدث مشهور، سمع العلم من إسماعيل بن خالد وشعبة بن الحجاج والثوري وغيرهم. روى عنه البخاري وعدد من طلبة العلم. (الكلاباذي: رجال صحيح البخاري. المسمى "الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه". تحقيق : عبد الله الليثي. ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٧٦٧). وقال عنه ابن حبان : "من الحفاظ المتقنين أهل الفضل في الدين ممن رحل وكتب وجمع وصنف وحفظ وحدث وذاكر وبث". ولد سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وتوفي سنة ١٩٧هـ/٨١٢م. (مشاهير علماء الأمصار. عُني بتصحيحه : م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص١٧٣).

(١٥٨) مولى بني ضبة الكوفي. من العلماء المهتمين برواية الحديث النبوي، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وغيرهم. وعنه أخذ الحديث عدد من طلبة العلم من أبرزهم أحمد بن حنبل. وهو ثقة في رواية الحديث. وكان يتشيع. توفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م، وقيل سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م. (ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل. ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، (د. ت)، ج٨، ص٥٧ ؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: بشار عواد معروف. ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ، ج٢٦، ص٢٩٣ .

(١٥٩) من العلماء المهتمين بالحديث النبوي. روى الحديث ودرسه على الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد. وتتلمذ عليه في الحديث مجموعة من طلبة العلم. وثقه يحيى بن معين. توفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م. (ابن أبي حاتم: المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٢ ؛ البخاري: المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٧).

(١٦٠) السلمي الواسطي. من العلماء المحدثين الحفاظ الثقات. ولد سنة ١١٨هـ/٧٣٦م. وسمع الحديث من عاصم الأحول ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرين. ومنه سمع أحمد بن حنبل وابن أبي خيثمة وعدد من طلبة العلم. توفي سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م. (البخاري: المصدر السابق، ج٨، ص٣٦٨ ؛ ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٩، ص٢٩٥).

(١٦١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب. ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٩، ص٨٤.

ويحيى بن اليمان العجلي من أهل الكوفة، عني برواية الحديث. فروى عن سفيان الثوري وأشعث القمي. وعنه روى قتيبة بن سعيد. توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م. (ابن حبان: الثقات. ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٩، ص٢٥٥).

الحماني(١٦٢). ومن أبرز الذين تتلمذوا عليه: الإمام البخاري(١٦٣) الذي روى عنه في باب الهبة من صحيحه(١٦٤)، ويعقوب بن شيبة(١٦٥)، ومحمد بن عبد الله الحضرمي(١٦٦)، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني(١٦٧)، وغيرهم(١٦٨). وذكر الحاكم النيسابوري أنه من المحدثين الثقات(١٦٩). توفي يوم

---

(١٦٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص١١٨ ؛ المزي: المصدر السابق، ج٢٤، ص٥٨٦.

والحماني محدث من أهل الكوفة. روى الحديث عن سليمان الأعمش وعبيد الله بن عمر العمري وآخرين. واستفاد منه عدد من طلبة الحديث. وقد رحل إلى بغداد وحدث بها. توفي سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م. (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٣٧).

(١٦٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الإمام الحافظ والمحدث المشهور، وصاحب كتاب الجامع الصحيح وغيره. روى عن عدد من العلماء بعد أن رحل إلى أمصار عديدة في طلب العلم. قال عنه ابن حبان: "وكان من خيار الناس ممن جمع وصنّف ورحل وحفظ وذاكر وحث عليه، وكثرت عنايته بالأخبار وحفظه للآثار، مع علمه بالتاريخ ومعرفته أيام الناس ولزوم الورع الخفي والعبادة الدائمة..". توفي سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م. (ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١١١-١١٤ ؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج٤، ص١٨٨-١٩١).

(١٦٤) الكلاباذي: المصدر السابق، ج٢، ص٦٤٢.

(١٦٥) ابن الصلت السدوسي البصري. إمام حافظ، ومن كبار علماء الحديث. سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وآخرين. ونزل بغداد. وصنف المسند الكبير، ولم يتمه، ومسند أبي هريرة. توفي سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٨١).

(١٦٦) محدث كوفي حافظ، يعرف بالمطين. ولد سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م. روى الحديث عن علي بن حكيم الأودي وعبد الحميد بن صالح وغيرهم. وصنف المسند، وكتاب في التاريخ. توفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م. (ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٨ ؛ الذهبي: طبقات الحفاظ، ج١، ص٢٩٢).

(١٦٧) محدث ثقة. تولى قضاء بلخ. وسكن بغداد، وحدث بها عن عدد من العلماء منهم أبو جعفر النفيلي وأحمد بن عبد الملك الحراني وغيرهم. وعليه تتلمذ عدد من طلبة العلم. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩٨).

(١٦٨) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص١١٨ ؛ المزي: المصدر السابق، ج٢٤، ص٥٨٦ ؛ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٨٤.

(١٦٩) المستدرك على الصحيحين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٣، ص١٣٧.

الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م، وقيل سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م(١٧٠).

ويُعد محمد بن الطفيل بن مالك النخعي الكوفي من العلماء المحدثين الذين استوطنوا فيدًا(١٧١). وكان قد نهل علمه من مجموعة من العلماء المحدثين، منهم: شريك بن عبد الله النخعي(١٧٢)، وأبو معاوية الضرير(١٧٣)، والفضيل بن عياض(١٧٤)، وحماد بن زيد(١٧٥)، وغيرهم(١٧٦). وعنه تلقى الحديث مجموعة من الطلاب من أبرزهم

---

(١٧٠) المزي: المصدر السابق، ج٢٤، ص٥٨٦ ؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٩، ٨٤.

(١٧١) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٣ ؛ المزي: المصدر السابق، ج٢٥، ص٤١٢.

(١٧٢) تولى قضاء الكوفة. روى العلم عن سلمة بن كهيل والأعمش وغيرهم. وعنه روى عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وغيرهم. توفي سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م. (البخاري: المصدر السابق، ج٤، ص٢٣٧ ؛ ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٥).

(١٧٣) وهو محمد بن خازم الكوفي مولى بني سعد. ولد سنة ١١٣هـ/٧٣١م. روى الحديث عن الأعمش وليث بن أبي سليم. وعنه روى أبو داود الطيالسي وأحمد بن حنبل وآخرون. توفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م. (البخاري: المصدر السابق، ج١، ص٧٤ ؛ ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٧، ص٢٤٦-٢٤٧).

(١٧٤) أحد الأئمة الزهاد، والعلماء المبرزين، ولد بسَمَرْقَند، ونشأ بأَبِيوَرْد ثم الكوفة، ورحل في طلب العلم، فروى عن عدد من العلماء المبرزين، ثم اسَتقر في مكة مجاورًا حتى مات. ويُعد من المحدثين الثقات، والفقهاء المجتهدين. توفي سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ص٤٢١-٤٤٢ ؛ ابن حبان: الثقات، ج٧، ص٣١٥).

(١٧٥) هو حماد بن زيد بن درهم مولى آل جرير بن حازم البصري. من العلماء المحدثين الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين. ولد سنة ٩٨هـ/٧١٦م. وكان كفيف البصر. روى عن سلمة بن دينار وهشام بن عروة وعمرو بن دينار وعدد من التابعين. وعليه تتلمذ عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهم. توفي سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م. (ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص١٥٧ ؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٣، ص٩-١٠٩.

(١٧٦) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٦-٣٤٧ ؛ المزي: المصدر السابق، ج٢٥، ص٤١٢.

الإمام البخاري الذي روى عنه في الأدب المفرد(١٧٧). وثّقه ابن حبان(١٧٨). وتوفي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م(١٧٩).

ومن العلماء المهتمين بالحديث النبوي في فَيْد - أيضًا - محمد بن يحيى بن الضريس الكوفي الفيدي، من أهل الكوفة، سكن فيدًا(١٨٠). دَرَس الحديث النبوي ورواه عن سفيان بن عيينة(١٨١)، ومحمد بن فضيل بن غزوان(١٨٢)، والوليد بن بكير(١٨٣)، ومحمد بن الطفيل الفيدي الكوفي، وغيرهم(١٨٤). وقد استفاد منه الطلاب بفيد(١٨٥). وكان أبرز من تتلمذ عليه الإمام الحافظ محمد بن إدريس

---

(١٧٧) المزي: المصدر السابق، ج٢٥، ص٤١٢ ج٢٥، ص٤١٢ ؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٩، ص٢٠٩.

(١٧٨) ابن حبان: الثقات، ج٩، ص٦٣.

(١٧٩) المزي: المصدر السابق، ج٢٥، ص٤١٢.

(١٨٠) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٨، ص١٢٤، ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١٠٧.

(١٨١) هو سفيان بن عيينة الهلالي، أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، وشيخ الإسلام في عصره، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م، ثم انتقل إلى مكة فاستقر فيها. تتلمذ في مكة على الزهري وعمرو بن دينار وغيرهما، كما رحل في طلب العلم إلى بعض الأمصار. وقد عني بتتبع العلوم الشرعية دراسة وتصنيفًا، وهو ثقة في روايته، وشُهر - أيضًا - بالزهد والورع والتقوى، توفي بمكة سنة ١٩٨هـ/٨١٣م. (ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٧-٤٩٨ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٥٤ - ٤٧٥).

(١٨٢) ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١٠٨.

(١٨٣) التميمي الكوفي. روى عن الأعمش وعبد الله بن محمد العدوي وغيرهم. وعنه روى الحديث بعض طلبة العلم منهم موسى بن داود الضبي ومحمد بن عبد الله بن نمير. وثقه ابن حبان، إلا أن الدارقطني قال : متروك الحديث. (ابن حبان : الثقات، ج٩، ص٢٢٣؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج١١، ص١١٥-١١٦).

(١٨٤) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٨، ص١٢٤ ؛ السمعاني: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٧.

(١٨٥) الخطيب البغدادي: موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي. ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ، ج١، ص١١٨ ؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج٤٢، ص٣٣٢.

الرازي(١٨٦)، حيث يقول ابنه في كتابه الجرح والتعديل(١٨٧): "سمع منه أبي وروى عنه، سمعت أبي يقول ذلك. سئل أبي عنه فقال: صدوق". وقد عدّه ابن حبان من الثقات في رواية الحديث(١٨٨). توفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م(١٨٩).

ومن العلماء المحدثين في فَيْد عيسى بن إبراهيم الفيدي الذي روى عن موسى بن عبد الله الجهني(١٩٠)، وعنه روى عبد الله بن عامر بن زرارة الكوفي(١٩١)، وغيره(١٩٢). ولا تسعفنا المصادر المتاحة في معرفة تاريخ ولادته أو وفاته، ولكنه عاش - كما يبدو من خلال من ارتبط بهم من العلماء والطلاب - في القرن الثاني الهجري.

وقد نزل في فَيْد أيوب بن سيار الزهري المدني أحد المحدثين فعرف لذلك بالفيدي(١٩٣)، وكان قد تتلمذ على محمد بن المنكدر

---

(١٨٦) وهو شيخ المحدثين. ولد سنة ١٩٥هـ/٨١٠م. قال عنه الذهبي: كان من بحور العلم. طوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنّف، وجرح وعدّل، وصحح وعلل. سمع على عدد كبير من علماء الأمصار الإسلامية حيث رحل في طلب العلم. توفي سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م. (ابن أبي حاتم: المصدر السابق، ج١، ص٣٤٩-٣٧٥ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٢٤٧-٢٦٣).

(١٨٧) ج٨، ص١٢٤.

(١٨٨) الثقات، ج٩، ١٠٧-١٠٨.

(١٨٩) البخاري: المصدر السابق، ج١، ص٢٦٧ ؛ ابن زبر الربعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم. تحقيق: محمد المصري، ط١، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٣١ ؛ ابن حبان: الثقات، ج٩، ص١٠٨.

(١٩٠) محدث ثقة، روى عن زيد بن وهب وعبد الرحمن بن أبي ليلى والشعبي. وكان من أبرز علماء الكوفة في وقته. توفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م. (ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج١٠، ص٣١٦).

(١٩١) أحد المهتمين برواية الحديث النبوي. روى عن أبيه وأبي بكر بن عياش ويحيى بن زكريا وغيرهم. وعنه روى الإمام مسلم وابن ماجه وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات. توفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م. (ابن حبان: الثقات، ج٨، ص٣٥٥ ؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٥، ص٢٣٨).

(١٩٢) ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ، ج٦، ص٣٣١ ؛ السمعاني: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٦ ؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٣.

(١٩٣) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج٤، ص٤٢٨.

التيمي(١٩٤)، وصفوان بن سليم(١٩٥)، وغيرهم(١٩٦)، كما استفاد منه في الحديث عدد من طلبة العلم(١٩٧).

وينسب إلى فَيْد من العلماء - أيضًا - أحمد بن هاشم بن محمد بن هاشم الكناني الكوفي، المعروف بالفيدي والطريقي(١٩٨). وقد عاش خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، حيث قدم بغداد وحدّث بها سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م(١٩٩). وكان يملي أيضًا على طلاب العلم فيها(٢٠٠). ومن مشايخه الذين روى عنهم عبيد بن كثير العامري التمار(٢٠١) وأحمد بن سعيد بن شاهين(٢٠٢)، وغيرهما(٢٠٣). أما

---

(١٩٤) من علماء المدينة الحفاظ. روى عن أبيه وجابر بن عبد الله وعبدالله بن عباس وأبي هريرة وغيرهم. وعنه روى مالك بن أنس وأبو حنيفة والزهري وآخرون. وعُرف بالزهد والورع. توفي سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، وقيل سنة ١٣١هـ/٧٤٨م. (الذهبي: طبقات الحفاظ، ج١، ص٥٨).

(١٩٥) المدني، فقيه محدث. روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وغيرهم. وكان ثقة في روايته، يحفظ الكثير من الأحاديث النبوية. وهو أحد عباد أهل المدينة وزهادهم. توفي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. (ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٦٨-٤٦٩ ؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج٤، ص٣٧٣-٣٧٤).

(١٩٦) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٨ ؛ ابن ماكولا: المصدر السابق، ج٤، ٤٢٨.

(١٩٧) ابن أبي حاتم الرازي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٨ ؛ ابن ماكولا : المصدر السابق، ج٤، ٤٢٨.

(١٩٨) السمعاني: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٦.

(١٩٩) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص١٩٩.

(٢٠٠) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة.

(٢٠١) محدث كوفي. يروي عن يحيى بن الحسن بن الفرات. وهو متروك الحديث عند عدد من علماء الجرح والتعديل. (الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ج٣، ص٢٢-٢٣).

(٢٠٢) من علماء بغداد ومحدثيها. سمع من شيبان بن فروخ ويعقوب بن حميد بن كاسب ويحيى بن معين وغيرهم. وكان ثقة في رواياته. خرج إلى مصر في آخر عمره، وحدث فيها. وبقي فيها حتى توفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص١٧١).

(٢٠٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص١٩٩ ؛ السمعاني: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٦.

الذين تلقوا العلم عنه فمنهم عبدالله بن موسى الهاشمي(٢٠٤)، وأحمد بن محمد النهشلي(٢٠٥)، والمعافى بن زكريا النهرواني الجريري(٢٠٦).

وكان عبد الله بن راشد بن يزيد المعروف بالأكار من أبرز من عني من أهل فَيّد بالروايات التاريخية تلقيًا ورواية، حيث يروي معلوماته التاريخية عن عدد من الرواة والمهتمين(٢٠٧). ويُعدّ عبد الله بن راشد من الرواة الذين استند عليهم المؤرخ الطبري، فكان مصدرًا لعدد من الروايات التاريخية التي أوردها الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، ولاسيما ما يتعلق ببعض الروايات التاريخية والأحداث الواقعة في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٣ -٧٧٤م)(٢٠٨). كما نقل عنه الطبري معلومات تتعلق بفيد،

---

(٢٠٤) يرجع في نسبه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وهو من المهتمين برواية الحديث النبوي في بغداد، روى عن خلق كثير منهم محمد بن جرير الطبري والحسين بن محمد الأنصاري وإسماعيل بن موسى الحاسب وغيرهم. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة مستورًا من أهل القرآن، ومن فضلاء المسلمين. توفي سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٥٠).

(٢٠٥) يعرف بابن الجندي، من أهل بغداد. ولد حوالي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، روى عن أبي القاسم البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد وغيرهما. وحدث في بغداد فاستفاد منه طلبة العلم. توفي سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٧٧-٧٨).

(٢٠٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص١٩٩ ؛ السمعاني: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٦-٤١٧.

والمعافى بن زكريا النهرواني الجريري، يعرف بابن طراز. تفقه على ابن جرير الطبري والبغوي وغيرهما. قال عنه الخطيب البغدادي: كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة وأصناف الأدب. تولى القضاء بباب الطاق ببغداد. وكان حافظًا ثقة. وله بعض المصنفات. توفي سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ٢٣٠-٢٣١).

(٢٠٧) وممن روى عنهم عبد الله بن راشد بن يزيد كل من: نصر بن قادم، والجراح بن عمر، وخاقان بن يزيد، وإسماعيل بن موسى البجلي، وعيسى بن النضر، وغيرهم (انظر؛ الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص٥٢٧، ٥٤٦، ٦٣٢).

(٢٠٨) انظر - على سبيل المثال - تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٥٢٧، ٥٤٦، ٥٩٧، ٦٣٢، ٦٣٩.

خصوصًا المتصلة منها بالخندق الذي أقيم حول فَيْد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م(٢٠٩). وكان عبد الله بن راشد - أيضًا - من الشيوخ الذين روى عنهم عمر بن شبة النميري(٢١٠).

ويُعد محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي الذي تولى منصب ولاية فَيْد فترة من الزمن(٢١١) من المهتمين بالروايات التاريخية، فوصفه أبو إسحاق النديم براوية أسد وصاحب مآثرها وأخبارها(٢١٢). وذكر أبو إسحاق النديم ـ أيضًا ـ أن العلماء أخذوا عنه مآثر بني أسد وأخبارها(٢١٣). وكانت للأسدي معرفة بتحديد المواضع والبلدان وتاريخ نشأة بعضها، خصوصًا القريبة من فيد(٢١٤). وتؤكد المصادر التي أوردت نقولاً موجزة من مرويات الأسدي سعة اطلاعه، وخاصة في المعلومات المتعلقة بجزيرة العرب(٢١٥).

كما عُرف محمد بن عبد الملك الأسدي بالفصاحة ونظم الشعر(٢١٦). وله مصنفات تاريخية وأدبية منها: مآثر بني أسد

---

(٢٠٩) انظر ؛ تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٥٧٨.

(٢١٠) ابن حجر العسقلاني: نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد السديدي. ط١، دار الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص٩٧.

والنميري عالم بصري. ولد سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م. وكان من الأئمة الحفاظ، اهتم بعلم الحديث والقراءات والسير والمغازي والأخبار. وله بعض المصنفات منها تاريخ البصرة وأخبار المدينة. توفي في سامراء سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، وقيل ٢٦٣هـ/٨٧٦م. (ابن خلكان: المصدر السابق، ج٣، ص٤٤٠ ؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص٥١٦-٥١٧).

(٢١١) مؤلف مجهول: مختصر جمهرة النسب لابن هشام الكلبي. اللوحة رقم ٢٦٨ب.

(٢١٢) الفهرست. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ٧٣.

(٢١٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٢١٤) الحربي: المصدر السابق، ص٢٩٦، ٣٠١ ؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٦.

(٢١٥) حمد الجاسر: المرجع السابق ص١٠٠٢.

(٢١٦) الصفدي: الوافي بالوفيات، باعتناء: س. ديدرينغ. ط٢، فرانز شتايز، فيسبادن ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٤، ص٣٥ .

وأشعارها(٢١٧)، وديوان شعر يقع في مئة ورقة(٢١٨).

وكان داود بن عتاب الفيدي من الرواة الذين اعتمدهم محمد بن علي بن الحسين الطالبي(٢١٩) فيما كتبه عن القرامطة ونقله عنه النويري، ولا سيما ما يتعلق بهجومهم على فَيْد سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م، وقد وصفه محمد بن علي الطالبي بالنبل والصدق(٢٢٠).

من جانب آخر فقد شارك في الحركة العلمية في فَيْد خلال العصر العباسي عدد من العلماء. كما تلقى فيها عدد من الطلاب دروسًا علمية مختلفة. وممن أشارت المصادر إلى إقامته في فَيْد أو تدريسه أو دراسته بها الإمام الفقيه محمد بن خفيف بن أسفكشار الضبي الشيرازي شيخ الصوفية، والمتوفى سنة ٣٧١هـ/٩٨١م(٢٢١)، حيث يروي حادثة تدل على بقائه في فَيْد مدة من الزمن، لا نستبعد مشاركته العلمية خلالها في فيد، حيث يقول - بعد ذكر ما تعرض له من نهب في طريقه للحج - : "ثم وقعتُ إلى فيد، وأقمت بها حتى تماثلت.. "(٢٢٢).

وممن شارك في التدريس بفيد - أيضًا - المحدث أبو العطاء إسماعيل بن محمد بن أحمد الهروي الأوبهي، حيث استفاد منه

---

(٢١٧) أبو إسحاق النديم: المصدر السابق، ص٧٣ ؛ الصفدي: المصدر السابق، ج٤، ص٣٥.

(٢١٨) أبو إسحاق النديم: المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٢١٩) فقيه محدث، ولد بهمذان، ونشأ بالعراق. رحل في طلب العلم. صحب أهل التصوف. وجاور بمكة بضع سنوات. استوطن في آخر عمره مدينة نيسابور في إقليم خراسان. ومات ببلخ سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، وقيل سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، وقيل سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. (ابن عساكر: المصدر السابق، ج٥٤، ص٣٠٢-٣٠٦).

(٢٢٠) النويري: المصدر السابق، ج٢٥، ص٢٧٢.

(٢٢١) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٤، ص٢٨٨ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٤٣.

(٢٢٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج٥٢، ص٤١١ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٤٣-٣٤٤.

الطلاب بفيد(٢٢٣). وكذلك المحدث سهل بن عبد الرحمن الجرجاني الذي تلقى منه بعض الطلاب حديثًا بسوق فيد(٢٢٤). وفرج بن إبراهيم بن محمد المرجي حيث دَرَس على يديه عدد من الطلاب بفيد من أبرزهم أبي طاهر أحمد بن محمد الأصفهاني السلفي(٢٢٥). إضافة إلى أبي غلب محمد بن إبراهيم بن محمد الصقيلي الجرجاني المعروف بالدمغاني الصوفي الذي استفاد منه بفيد عدد من طلبة العلم(٢٢٦).

وفي فَيْد أقام الفقيه المحدث عبد الملك بن أبي نضر الجيلي، يقول ابن الجوزي عند ذكره ضمن وفيات سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م(٢٢٧): "حج في هذه السنة، فأغارت العرب على الحاج، فانصرف وأقام بفيد، وتوفي بها في هذه السنة، وكان جماعة الفيديين يثنون عليه ويصفونه بالورع والزهد". ولا شك أن العبارة الأخيرة من قول ابن الجوزي تؤكد استفادة أهل فَيْد من عبد الملك الجيلي أثناء إقامته في مدينتهم.

أما الإمام السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) فقد أكد وجود دروس علمية متعددة تعقد في فَيْد وتعنى بالحديث النبوي تقام من قبل بعض الحجاج أثناء مرورهم بها، يقول السمعاني أثناء حديثه عن فيد(٢٢٨): "نزلت بها غير مرة، وسمعت بها الحديث عن جماعة من الحجاج".

---

(٢٢٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٢٧٦.

(٢٢٤) السهمي: المصدر السابق، ص٢٢٣.

(٢٢٥) السلفي: معجم السفر. تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، (د.ت)، ص٣٢٩ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١٥.

(٢٢٦) انظر؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج٦، ص٧٥، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٦، ٣٤٢، ج٩، ص٣٢١، ج٢٦، ص٢٤٦، ج٣٥، ١٨٩، ج٤٢، ١٣٣، ج٤٩، ص٣٣٩، ج٥٦، ص٤٢٦.

(٢٢٧) المنتظم، ج١٨، ص٨٠.

(٢٢٨) الأنساب، ج٤، ص٤١٦.

وفي فَيِّد توفي عدد من العلماء المشهورين، من أبرزهم: الإمام المحدث وكيع بن الجراح الذي مات بفيد عند رجوعه من الحج سنة ١٩٧هـ/٨١٢م(٢٢٩). والقاضي عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي، حيث توفي بفيد أثناء توجهه إلى الحج سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م(٢٣٠). وكذلك الفقيه أبو نصر بن الحناط الشيرازي(٢٣١).

ومن أهل فَيِّد استفاد بعض علماء اللغة العربية حيث جاءت بعض الأدلة والشواهد اللغوية في عدد من المعاجم اللغوية مستقاة من كلام الفيديين وأشعارهم(٢٣٢).

---

(٢٢٩) ابن سعد: المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٤ ؛ ابن النديم: المصدر السابق، ص٣١٧.

(٢٣٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٢٦١.

(٢٣١) الشيرازي: طبقات الفقهاء. تحقيق. د. إحسان عباس. ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٢٢.

(٢٣٢) انظر - على سبيل المثال - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٨٢ ؛ ابن منظور: المصدر السابق، ج٧، ص٣٧، ج١١، ص٣٤٢، ج١٣، ص ١٧٧ .